كان عندي طير

سهى زكي

١٤٢٩هـ_٢٠٠٨م

دار العلوم للنشر والتوزيع

obeikandl.com

زكي/ سهى زكي
كان عندي طير/ تأليف سهى زكي
ط١ـ القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.
١٨٤ ص، ٢٤سم.
تدمك ٣ـ١٨٥ـ٣٨٠ـ٩٧٧
١ – مجموعة قصصية
أـ العنوان
رقم الإيداع: ٢٠١٢/ ٢٠٠٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار العلوم للنشر والتوزيع – القاهرة، ولا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو نقله على أي نحو، سواء بالتصوير أو التسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر خطيًا ومقدمًا.

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

الناشر

دار العلوم للنشر والتوزيع - القاهرة

هاتف: ٢٥٧٦١٤٠٠(٠٠٢٠٢) فاكس: ٢٥٧٩٩٩٠٧(٠٠٢٠٢)

الموقع الإلكتروني: www.darelooloom.com

البريد الإلكتروني: daralaloom@hotmail.com

daralaloom2002@yahoo.com

obeikandl.com

(١)

طقـــوس

obeikandl.com

obeikandl.com

طقـــوس

(١)

جاءني تليفونها الصباحي الذي يوقظني دائمًا من أحلام بعيدة، عادة لا أحب الاستيقاظ وأنا أحلم

- صباح الخير يا حبيبي
- "صباح الخير يا سكن الروح . . افتقدتك"

أقولها بصوت به بحة حزينة!

- كنت معي طول الليل
- حقيقي
- أغرقت المرتبة كعادتي وأنا أفكر فيك!

تبتسم ابتسامة شقية وتصمت

- ألا تخجل يا حبيبي من هذا الكلام . . ثم كيف تغرق مرتبتك دائمًا هكذا، وأنت نائم؟

فاستأذنتها أن أذهب لآخذ حمامي، أغلقت التليفون، لكن قبل أن أنهض من سريري، أخذت أنظر لهذه المادة اللزجة المتجلطة فوق الملاءة والتي أغرقتني تمامًا من أول أذني وحتى ركبتي يا لكل هذا السائل، ألا ينتهي، من أين يأتي كل هذا . . . !

obeikandl.com

(٢)

تقول فتاتي إنني طويل وسيم، لي عيون أخاذة، لكنني خجول جداً رغم جرأة عيني وحدة طباعي الواضحة من تصرفاتي.. تراني بنحافتي الواضحة الناشفة كعود ثقاب ربما يكسر إذا حاولت إشعاله بقسوة. إنني فارس من فرسان العصور الوسطى التي كانت تتمنى لو قابلت أحدهم، غير مهتمة بنوافير الدماء المتسربة دائماً من انفي وأذني.. فكلما أخبرتها أنني أغرقت سريري وأنا نائم.. تخبرني.. "ارحم نفسك شويه من التفكير في الجنس، إنت إيه مبتتعبش"!

لا أعلم هل تتعمد أن تهمل إحساسي بلون البلل القاني الكريه هذا، أم أنها تتجاهل مرضى وتصر على أنني طبيعي ولا أعاني من مرض يفجر نافورات دماء دائمة.. تصر على أنني قوي وفارس عفي.. كيف تراني هكذا؟!

هذه الحبيبة المجنونة، تخبرني في لحظات العشق والغضب أن الله يحبني وخصني بمعجزة خاصة جداً، ودائماً ما تخبرني عن تاريخي العظيم الذي لم أقدره.. كيف تراني هكذا وأنا الولد الذي لم يتعامل إلا مع الرمال الصفراء والوجوه الصفراء والعيون الحمراء؟!

لم يصادق أحداً حتى النهاية ولم يحب شيئاً حتى الموت..

قررت منذ طفولتي ألا أقْبل نظرة عطف من أي مخلوق، كنت

لا أقبل أن أمد يدي لله بالدعاء، لا أعرف لماذا، ربما لأنني لم أكن أدري أن الآلهة مكانها السماء.. ولم تخبرني أمي الغريبة عني فقد أشعرتني أن لا طلب لشيء إلا منها ولا ينفعني أحد إلا هي.. لذلك لم أشعر بطعم الحب والحنان الحقيقيين إلا منها، كنت متعلقًا بها بشدة، أسمع كلامها، أعود لها في كل كبيرة وصغيرة، لكنني خرجت من بيت العائلة الكبير المؤقت بقميصي الأبيض النظيف وبنطلوني الأسود الذي فردته تحت مرتبتي!

(٣)

هنا سوق كبير، كما أن هنا "ناس كتير غلابة" يبيعون.. يشترون.. فقراء.. لكن لا أعرف من أين حصلوا على أموالهم!

للعز ناس.. لا..

العز لقيط إذا قررت أن يتم تعزيزك.. والبيع والشراء في السوق.. البضاعة موجودة بكل الأسعار، وكما أن هناك أيضًا بضائع لا ثمن لها...

قمر.. زرع.. قلعة منورة جدًا.. تخبرني حبيبتي عن تاريخ الأماكن التي نمر عليها، حتى إنها بجرأتها تؤكد على أن القلعة تخص جدها!

ترى من يكون جدي؟

القلوب المتعبة تقوي على الإحساس بالحب والكره مثل القلوب غير المتعبة؟ . .

وهؤلاء الناس المفتوحة قلوبها "على البحري" . . تحب كل الناس، تستقبل كل الضيوف المؤقتين لفترة ثم يبتعدون خوفًا من صوت الدقات العالي أن يصم آذانهم . . هل حقيقة هناك قلوب مفتوحة!

دائمًا يأخذني الحماس لتحقيق أماني وأشعر فجأة أن أجنحتي تستطيع أن تطير فأسابق كل طيور المساء الوضيعة التي تلعب لعبة السباق المستمر، وما إن أبدأ بالرفرفة حتى ينفك غراء الجناحين فيتساقط الريش الكبير في الهواء كالمطر . . ولا يتجمع أبدًا من جديد إلا عندما يتملكني إحساس بالحماس الزائف، كما شعر باقتراب تحقيق أمنياته . . .

يئس . . إحباط . . انتحار . .

لماذا يكسرون جيتاري، يخنقونني بالأوتار الحادة، يقطعون شرايين رقبته، لكن لا يموت في أي مرة، في كل مرة يدفعونني للانتحار . . لا أفعل، لكنني أفعل؟!

ليس للحلم مكان هنا

حرام

عيب

ميصحش

إلى متى تعتمد الأمنيات على الفتاوى وإلى متى أخنق لحني

حتى يسمح له بالدندنة . .
لا . .
لن أتنازل
أعزف
أسمع
أنزل تحت . . أطلع فوق
محدش له دعوة غير ربنا

لو مش راضي عني . . ما كنتش هابقى بني آدم . . بالتأكيد كنت هابقى طوبة . . . ؟ ! "

دوم . . دوم . . دوم . . دوم . . دوم . . ياااااه كمان دوم . . دوم . . دوم . . دوم . . دوم . . دوم . . دوم . . دوم . . .

هل تعلمون أن هذه دقات قلب مفتوح للحياة عن آخره . . يدق تلك الدقات المتلاحقة وكأنها دقات تنذر بهجوم مدمر من قوات الأعداء . . وأن هذه الدقات تنتهي بنافورة دماء تخرج من الشرايين المتأهبة للانفجار في أي لحظة . . .

يرقد القلب المسكين مفتوحًا على مصراعيه . . يلتف الأطباء حوله، أحدهم يمسك مشرط والآخر يمسك حقنة والآخر ينظر ويحلل ويقرر ـ أما الممرضة فتمسح عرقها نتيجة خوفها من خطر القلب المفتوح . . .

لأول مرة أرى قلب ليس به دماء، قلب ليس به لون فعلاً . . شفاف . . لا يحيط به أي مخاض أو دم أو شرايين . . إنما هو سائل

أزرق خفيف. . يشبه الحبر تقريبًا. . يتعجب المجتمعون لدراسة حالتي، والتي لا يصدقني معظم أصدقائي عندما أخبرهم، أنني أرقد دائمًا بجلباب أبيض قصير مفتوح من الصدر، على ظهري، كي يحقنني هؤلاء الأطباء بحقن تطيل العمر أيامًا أو ربما شهوراً

وبما أنني لا أحب أن أعيش في هذه الأدوار الدرامية، دائمًا ما أهرب من أيديهم الممدودة بالحقن وأجري منهم بسرعة تذهلهم، فهي سرعة لا تناسب مريض القلب المفتوح!

(٤)

أكثر من مرة يمنعني الأطباء من بذل الجهد في التفكير أو الحب أو الموت. . ويمنعون عني الحبر، يقولون إنه خطر كبير عليّ، فإن سائل قلبي اقترب لونه من لون الحبر، لا لون الدم. . .

باختصار هم يرغبون في منعي من الكتابة لأنها لا تناسب مرضى القلب. . "الكتابة متعبة قوي" فأهرب للمرة الخمسين بعد أن أخبر الطبيب الخاص بي. . أن الكتابة هي الدمع الذي لا أسقطه من عيني وهي الفكر الذي لا يأكل قولوني العصبي. . هي الأيام التي لا أحياها وحدي أبدًا عندما لا يكون هناك رفيق. . الهروب من نفسي إلى نفسي كلما فكرت في الإحساس بالألم أو الفرح والنجاة من الآهات التي لا يكترث لها إلا الورق والقلم. . كيف أعيش دون الكتابة وقد كتب الله عليّ أن أهيم في صحراء لا يؤنسني فيها إلا الورق والقلم. . كتب عليّ أن أسير

على رمال ساخنة ملتهبة تورم القدمين واليدين وتضخم الكليتين، وتحول القلب الهادئ المتأمل إلى خفقان دائم لا يهدأ مما أزعج ساكني الصحراء من الجن الصديق، فاتفقوا مع السماء أن يضايقونني طول العمر بأن يمنحني قلبًا موجوعًا له مدة محددة لا أعرفها، فأفضل عقاب لي هو حرماني من متعة الخفقان.. وحرماني من السعادة المؤقتة التي كنت أشعر بها أحيانا عندما يشاء القدر وأعود للبيت لأجد أبي الذي أحاول جاهدًا تذكر ملامحه التي كانت متعتي أن أتأمله في بعض الأوقات، خاصة عندما كان يأخذ ركنًا صغيرًا في هدوء شديد يقص أوراقه الهامة ويحفظها في ملفات.. كنت لا أستوعب أبدًا ماذا يفعل أبي، كان البيت دائمًا في حالة طوارئ أثناء وجودي.. تعلقت بالقلم والورق وبالمقهى وكنت إذا وجدته ذاهبًا أتشبث به كي يأخذني معه، فكان وقتًا طويلاً أقضيه متأملاً ما يحدث حولي وأشاهده صامتًا فقرر أبي بعد حرماني من أمي ووضعي في رعاية أم بديلة وأب بديل أيضًا.. أن يشغلني عن إحساسي بكرهه، وكره أمي وإخوتي الذين تركوني موافقين على أن تعرض قطعة منهم للبيع في سوق العاقرين...

كان كلما جاء أبي لزيارتي في بيت أهلي أعطاني ورقة وقلمًا.. بدأت أكتب وأكتب منذ هذا اليوم فكان كل شيء يمر بعقلي الصغير ويثيرني ولا أستطيع البوح به أجدني أكتبه.. صار طبعي الصمت.

(٥)

الكتابة بالنسبة لي هي اللغة التي لا يعلمها إلا من لا يستطيع الحكي بالكلام.. منذ بدأت لم أتوقف فتلك الحالات التي وضعني فيها أبي دونما قصد جعلتني أعشق الوحدة والتأمل من بعيد فكنت ألاحظ الناس وأسرد عنهم قصصًا من أعينهم وأنا لا أعرف عنهم شيئًا...

حتى الآن لم أكتب أحداثًا واقعية إنما أعتقد أن الواقع هو الذي لا نعيشه ونهرب منه دائمًا ولا نعطيه الأهمية اللازمة، فالواقع بالنسبة لي هو الإحساس المسكون داخلي بالأشياء الذي أتعامل معها بجمود، فلا أعرف إن كنت أجمح بالخيال أو أستغرق في الواقع، لكن كل ما أعرفه أنني أكتب عندما يزيد معي الصمت ويشتد بي التأمل في أي زمان وفي أي مكان دون أن أهيئ نفسي لطقوس خاصة...

إلا طقسًا واحدًا فقط هامًا جدًا اعتدت عليه.. خفقان زيادة في دقات القلب.. عرق غزير.. أصحو دائمًا لأجد مرتبتي غارقة بهذه المادة اللزجة.. فيشدد عليّ الأطباء أن أمنع نفسي من الكتابة لوقف هذا النزيف.. فأهرب...

(٢)

عودة بائع الملح من الرمال المتحركة

obeikandl.com

obeikandl.com

عودة بائع الملح من الرمال المتحركة

(١)

سأنطلق إلى عالم آخر، لأصبح كائن غيري، سأحلق في سماوات أكثر رحابة، ملعونة تلك الكآبة. . . يا قلبي المولع بالعشق، لن تتردد أكيد حينما تجد منيتك في سماواتك الفارغة. . .

نكبر. . ننسى كم من أشخاص قابلناهم. . أحببناهم. . كل خطوة وحدث. .

الناس كربون. . ؟!

مع مرور الوقت نتحول لمسوخ مرعبة كل هذا. . . وندعى زوراً أننا كالأحجار الكريمة التي تطبع صورة المارين عليها. . . !

وكطفل أهملته أمه، تمنعين ثدييك عني، أعلم أنه مختزن بلبن مسكر لي دون غيري، هرولت ملهوفًا أجيب هاتفي، أنادي باسم "ربتي" التي عبدتها ولم أؤمن إلا بها، كانت هي الإله الذي رعاني، وتحكم في دقات قلبي المولع، وكانت الوحيدة التي تدرك عن بعد أنني الآن ربما أخون. . خائن. .

لا لست خائنًا. . .

إنني أختبر عزيمتي في الإصرار على النبض باسمك،

بعشقك، أختبر قوة أرادتي على الصوم لك. . والصلاة في محرابك. . .

أنا من أعرف لماذا نزلت ربتي المصون من سمائها لتعانقني. . عبدها الذليل تحت قدميها. . .

كم من ليال مرت أعاني ابتعاد وجهك عني. . أعفر جسدي في تراب المقاهي والشوارع التي لا تعرف الرحمة، لا تقرأني، ولا تفهمني. . أهيم كالمجذوب الأجرب يخافونه. . نعم. . كانوا يخافون فهم يرونني أعبد ربة كاذبة ولا أفهم. . . !

أصنع لك خيالاً لا تستحقينه وأبني لك معابد وهمية، محاولاً إقناعهم برسالتك التي تمنيتها. . . نبي أنا برسالة لم يكن فيها إلا الإيحاء!

لهفي على نفسي، كيف تحملت أن أعانق أخرى، أتوهم ولو للحظة أن سمائي لها ربات غيرك. .

كم أشفق على نفسي وهزهزات جسدي النحيل من الاشتياق لك. . لن أستطيع السجود لغيرك بين أحجار البحار المالحة والنيل الملعون بطينته وعشبه الشيطاني. . .

ربتي الوحيدة. . أجلس تحت قدميك، أتلمس منك البركة، أدعو لك وتدعين لي. . أنتظر كي تمسحي على صدري الواهن بالتعب لتريحيه من ثقل الأوهام، آتي إليك. . .

الوحيدة التي باستطاعتها أن ترجعني إلى طرقي بلا جهد . . فقط انزلي من سمائك لنتعانق على أرض تحتضن ضلوعنا . . تضمنا بحنان يختلف تمامًا عن ضمة القبر . . .

(٢)

خبرة . . ادعاءات . . أين هذه الخبرة . . ؟!

لا يوقف أحد عن الكتابة، أو الإحساس، ولا تفكري أيتها الغبية الجميلة أن تدفعيني للحزن . . تصدقين أن الفرح من عند الله والحزن من عندك؟!

لتنفذي إلى مسامي وتخرجي من تنهداتي لتريحني من ضيق التنفس المفاجئ!

ما إحساسك وأنت تجرحين . . وأنت تهملين مبتهلاً لجمال صنعه بلا دليل على وجوده . . إياك أن تنسي أنك جرحتني جرحًا غائرًا، نفذ من طيبتي وخرج من شفافيتي حزينًا لأنك لم تمعني الطعن جيدًا . . ؟

يا أصدقائي، ابتعدوا قليلاً فما عاد في قلبي أو روحي طاقة لشيء . . لقد أخذت سكن روحي روحي ورحلت . . لن أرثيها ولن ترثيني . . سأذكرها وستذكرني . . .

لكم يا من تشربون الخمر وتذهبون للصلاة يوم الجمعة، يا من

تعاشرون النساء في البارات الحقيرة. . إياكم أن تلعنوني يومًا لأنني عشقت فتاة لم أنم معها؟! لأنني قدستها كالعذراء. . .

عيني وقلبي ويدي، كلي ارتعاش لأنني لا أستطيع التوحد مع غيرك؟

كنت أتمنى وأنا أرى هذا الرجل والسيدة العجوز الجالسين هناك لهم ست ساعات الآن أنا وأنت. . .

وبما أنك قبلت أن يقبلك شبيه لرجل، ولم تقنعي إلا به. . سأتركك كما قررت أن تتركيني. . .

عيني عليك. . يا أجمل فتاة وأقسى سيدة عرفتها. . .

ملعونة تلك الأفكار الجديدة التي سلبتك مني. . .

ترتدين الآن الجلاليب الفضفاضة والإيشاربات الحريرية الطويلة، تمنعين وجهك عني، خوفًا من إلهك الجديد. . أعشقته إلى هذا الحد. . أين كان وأنت كنت تتوسلين لي أن أرضي عنك. . يأمرك بالتطهر والصلاة، وهل كنت معي عاهرة؟!

لكن ما علينا، فلا داع لإقناعي أنك فجأة هكذا رأيت الله. . فلولا وجود العشيق الجديد ما عرفت أين هو الله. . فلم يدر بخلدي يومًا أنني مضطر لأن أريك إياه، كنت عقد به أنك ترينه معي ومن خلالي وبي. . ملعونة تلك الأفكار الجديدة التي سلبتك مني وملعون ولدك الجديد؟!

هل تعرفين شيئًا، للكبدة المشوية طعم رائع دونك. .

ولزجاجة البيرة المشبرة إحساس أقوى من إحساسك الآن.. ملعونة تلك الأفكار الجديدة التي سلبتك مني.. ملعون جانبك الأيمن التي تنامين عليه لتستمعي إلى "الشيخ الجليل ذي الصوت الناعم والوجه الجذاب قبل النوم".. لكن ما علينا؟

صديقتي الجديدة جميلة.. أجمل منك.. لأنها اعترفت منذ البداية أنها خائنة.. ودنيئة...

أما أنت فليتني عرفت أن لك هذا الجانب الرائع من الخيانة!

أحبك يا بشعة، يا خائنة، يا متدينة، يا مستقيمة، يا هادئة جدًا جدًا!

هل تعرفين شيئًا عن أحزان السكارى ـ إليك معلومة عنهم، هم حزانى، حزانى هُم فقدوا أعز ما يملكون ولا يستطيعون أبدًا إرجاع ما فقدوا...

الحزانى.. السكارى.. هم مرتدي الحداد...

الصراخ الأبله في البارات المظلمة.. والدموع المسترسلة كمطر صيفي غريب على خدود ملتهبة بنار الاشتياق...

لن تندمي.. فلم تخسري إلا سكيرًا حزينًا...!!

(٣)

أجلس الآن مع أهلي الذين اخترتهم بعد رحلتي القديمة في بيع الملح . . فعندما عدت، ولم أجد بيتك مكانه وفي جيبي حق الملح التي حملته من مناطق غريبة، حين كنت أعيش حالات من التيه وفقدان الذاكرة، لم أجد أذرعًا مفتوحة لي إلا أذرع أصدقائي الذين لم يطالبوني بحق الملح، ساهموا في تحولي من بائع الملح إلى رجل يكتب عن أسرار القلوب والعقول، من مهموم كاذب بأمن قومي لا يستقيم لمهموم بآخرين يشبهونني . . بل أسوأ . . .

من أمس لليوم . . غريبة!!

صحوت اليوم باكرًا غير سعيد لسبب تافه جدًا . . أنني أسمع موسيقى حزينة وأرى الفراشات ترقص أمامي، تلاعب العصافير " أي والله . . بتلاعب العصافير " !

إذًا ما يضايقني . .

يجلس الأصدقاء كعادتهم معي بحب لم أعتده . . يمسكونني أنا الأبله الأجوف . . يعاملونني معاملة الأطفال وربما يخبئون عني أشياء، مثلاً أنهم سيذهبون للقاء سيدة عجوز في كهف قديم داخل مغارة للجن في آخر الصعيد، لأن معها أوراقًا هامة تخص قضية خطيرة سيناضلون من أجلها . . أو أنهم يريدون

حضور جلستها الروحانية هُم يخافون من عفاريتها التي تهيم في العالم بلا وعي يعطون درسًا للعفاريت لتفهم ما هو العالم حتى يقوموا بدورهم دون أن "يولعوا الدنيا في بعض" دائمًا يحاكمونني.. يعتلي أشيبهم كابينة الكهرباء الموجودة في مقر المقهى المفضل لنا ويضع الباقون سنون أقلامهم على عنقي.. صارخين في وجهي كما أصرخ أنا دائمًا...

- أقسم بالله أن تقول الحق.
- أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.
- ماذا تعرف عن أولاد الشوارع الذين يفترشون الأرصفة، والسابق ذكرهم في أكثر من حادث إرهابي، هل لك علاقة بقريب أو من بعيد بتشويه صورة البلد أمام العالم ومساندة المخرجين والمنتجين في إعطائهم معلومات عن أماكن الخربات التي يسكنها أولاد الشوارع، وعن أماكن بيع الأطفال الصغيرة للشحاذة!
- من المسئول عن صفر المونديال الكبير المطبوع على لوحات الإعلانات التي تزاحمك في نومتك.. أنت ساعدت كرم جابر في قسم ظهر غريمه.. الرجل المسكين يقاضيك.. لم كل هذا التشويه في البلد.. أجب.. فعلت.. لا تقف صامتا.. أجب.
- أين كنت وقت وقوع الجريمة البشعة للبرجين العظيمين في

باب اللوق، والطريق المؤدي للسوق، من أغلقه أنت.. إلا تعرف أنك تتحمل مسئوليات لا تستحق كل هذا الإهمال الذي اقترفته في حق نفسك..!

- آآآآآآآ

- انتظر.. ما هي علاقتك بعم محمد بائع الجرائد.. هل تمده بمعلومات عن مرضى القلب كي يقف بجرائده أمام معهد القلب المعدوم القلب، لينادي على أخباره الملعونة، ويقتل المرضى قتلاً رحيمًا، اعترف.. ما علاقتك بهذا القاتل؟

- وما الذي يطلبه منك عم عبده العجوز، وما كل هذا الورق الذي يكتبه، منشورات.. ها.. منشورات "انت عامل فيها زعيم قومي ولا إيه.. طب تعرف مين زعيم الشيبسيان والتربينتان.. انت عارف موقعهم على الخريطة أصلاً".

- لماذا يبتسم في وجههم عم أبو يوسف هذا الرجل المسيحي الذي تدعى عنه أنه جدك الحقيقي.

- آآآآآآآ

- اخرس.. ما معلوماتك عن حوارات الأديان الثقافية والأحزاب السياسية والاتجاه المعاكس والمشاكس...

- وكيف استطعت أن تخترق كل الجداريات المعلقة في الأساطير المروية قديمًا.. عبرت حواجز الزمن، ووقفت مذهولاً في شرفتك الخشبية المهزوزة، محاولاً إقناع الناس بما

رأيت في رحلتك . . .

- ما قولك فيما هو منسوب إليك . . بأنك لا تعرف الحب . . رغم أن دقات قلبك ترجرج الأماكن التي تمر عليها يوميًا . . وأنك لا تعرف الألوان . . . ؟!

- آآآآآآآ . . . . آآآآآآآ

- اخرس

- أنا . . أحب . . أحب

- اخرس، أنت كاذب، أنت كافر . . تعبد ربة مزيفة . . ربة لا تذيقك إلا عذابها، أما رحمتها، فلن تراها، وبما أنك كفرت ورضيت بعبودية الأرباب المزيفين، فلا مكان لك في مقهانا . . .

- اذهب من هنا، لن نعاقبك إلا بالحب . . إننا جميعنا أصدقاؤك، نحبك . . فقط اعترف في آخر الأمر، أنك لا تتكلم بالصدق أبدًا . . وأنك تستطيع تلفيق الأحاديث والآيات والاستماتة في إقناع كل الناس أنك . . تضحك من القلب . . . !

obeikandl.com

(٤)

ما عدت قادراً على تحمل محاكمتهم لي، وهل من حقهم محاكمتي لأنني أحبك.. وما أصعب عقابهم، فلن يحتمله قلبي التعب أبدًا.. لا ترحميني.. لا تعودي.. ابقي في مكانك الخرافي.. لتتلي آيات كثيرة...، صلي طول الوقت، ارفعي يديك عن آخرها للدعاء كي يسمعك، ولن أعود، سأذهب إلى هناك.. لدنيا التي طالما هددتك أنني سأذهب إليها بلا عودة إذا ما شعرت إنك لا تعرفين قيمة الهياكل العظمية المقتولة.. وكيف تكون مرعبة.. أما أصدقاؤه المتعبون الطيبون.. فسيعرفون وحدهم إلى أين وجهتي؛ لأنهم اتفقوا معي على حبي، وأجبروني على الصدق معهم والاعتراف لهم بأن عيني العسلية فقدت لمعتها وعمقها، وأنني أحتاجهم لعقد حاجبي من جديد.. لن يتركوني.. فلتجلس مكانك، وانتظري حتى يأتيك بائع ملح.. لا يجيد الكتابة...

(٣)

سرب النمل

obeikandl.com

obeikandl.com

سرب النمل

صنع الفتيات دائرة نميمة في ركن الحائط العتيق مستندات على سور قصر فخم تزدان برؤوس نساء مرعبات لكنهن جميلات لأقصى حد . . . لم يكترثن بالتعليق على السور أو تماثيله المتناثرة عليه ويرثون لحال القصر الذي آل في آخر الزمن إلى مدفن لعقول الأطفال الأشقياء .

كان كل ما يهم الفتيات في ركنهن أن يراقبن البنت المجنونة وما تفعله، فهي تصنع قطعة حلوى رائعة الطعم، تضعها في صينية فضية مرسوم عليها ملائكة صغار، يمسكون بأيديهم أجنة طاهرة تقف بالصينية قبالة الرجل الذي تمنته، تقدم له قطعة الحلوى، أكلها بسرعة خاطفة .

وهي تبتسم . . !

همهمت الفتيات غير مصدقات أنها تضحك من القلب، يعلقن على أنها تتظاهر حفاظًا على كبريائها فكيف تقبل أن يأكل رجلها الحلوى بهذه السهولة دون النظر لعينها نظرة خاطفة قبل أن يمد يده لخطف القطعة .

يقلن أيضًا إنها بلهاء، وإنها تستحق ما يجري لها الآن . . . !

اليوم وهي في طريقها للقاء صديقات حميمات، رأت في المساء

ثلاثة رجال يركعون لسحابة رمادية ظلت تتابع وضع الرسومات وهي تحاول أن تنسى مشهد رجلها وهو يتضرع منها قضمة، وقد وافقت أن يقضمها، لكنها بالفعل ستتطهر من إحساس المضغ التي سبق وشعرت به، لم يتغير المشهد بتحركها وكان الحديث هناك موجه لها تمامًا . . .

تابعتهم حتى وصلوا لأقدام السحابة الرمادية التي تشبه قطعة الحلوى التي تركتها تواً في جوف صديقها . . فهم يقبلون أقدامها في نشوى وفرح متناسين أن هناك مظاهرات أرضية لأن الأشجار غاضبة ويجب عليهم الاهتمام بريها، فإن لم يُروَ الشجر . . . لا يموت . . . ؟!

بل يظل شامخًا . . .

لكن بجذوع جافة . . . ما أبشع مشهد الجذع الجاف .

بعد لقاء صديقاتها الحميمات وفي طريق العودة، لم تجد الرجال الراكعين ولا السحابة الرمادية . .

الآن لقيت صديقها، فقد اشترت له قطعة حلوى جديدة، أكلها للمرة الثانية دون خوف، وهو يؤكد تمامًا أنه يمتعض من طعم الحلوى . . . تبتسم له ابتسامة واضحة . . . تسمر عينها بعينيه تخبره بجمود وخبث :

" أنت تحب طعم الحلوى " .

لم تترك له مجالاً للرد، جرت من أمامه وهو يحاول مسح فاه أثر المضغ والبلع. . . ففمه يحوي بقايا السكر، وسيبدأ النمل في "السرحان" إليه. .

يعود ليجلس مكانه على كرسيه وبجواره كرسي فارغ لا يملأ فراغه شخص أكثر من دقائق، فما من أحد يحتمل رؤية رجل يأكل النمل السكر من فمه. . . !!

opeikandl.com

obeikandl.com

(٤)

زيارة بلا موعد

obeikandl.com

obeikandl.com

زيارة بلا موعد

كثيرون هم من يأتون لزيارتك دون موعد، تكون زيارة غير مبهجة، فأنت غير مهيأ لاستقبال الضيف بالملابس البيضاء والموسيقى الناعمة والرائحة العطرة، أو على الأقل بأكل وفير تقدمه له، لكن ماذا عساك فاعلاً مع زائر يتعمد فعل هذا دائمًا مع كل الناس بلا تمييز ولا تستطيع أبدًا أن تطرده أو تعاقبه أو تكون مجرد شرير معه.. ولا تنفع معه حتى التعاويذ السحرية والروحانية، فمادام هذا الزائر جاء إليك فلا مفر من استقباله وأنت في غاية السعادة.

(١)

نائم على ظهره ينظر لسقف الغرفة المظلم، بعدما ترك والده يعارك الذباب مع أخوته في الصالة، رأى نفسه يجلس مع صديقته ذات اللسان الصليف والباردة كثلجة في ثلاجة سمك عفن.. تنظر له وهي تستفزه كعادتها دائمًا بكلمة لا رد عليها سوى الصفع بالقلم، ولأنه لا يحب فكرة العنف يبتلع ما تقوله على اعتبار أنها طيبة وحسنة النية ويضغط على غضبه ويعدي الليلة على خير...

لكن في حلم السقف الذي يراه الآن.. يهم بالرد عليها، لكن

فجأة يجثم على صدره شيء غريب فيكتم صوته ويشعر منه أنه يسحب روحه بقسوة وعنف، حدث نفسه وهو نائم، آه، أنني أعرفه، أعرف هذا الثقيل الذي يمسك بيده القوية على كل قلبي ويعصره ثم يطبق القفص الصدري ليسحب روحي عنوة، لقد زارني العام الماضي عندما أخذ عمي الصغير مني، إنه هو لا غيره، من يأتي للناس في أوقات غير مناسبة إلا له، من يعرف أننا نتعامل معه في كل لحظة ونتجاهله أيضًا كل لحظة، هو الزائر الجميل!

ينافقه.. الخبيث.. كي يتعاطف معه الزائر ويتركه يأخذ راحته في الدنيا...

لكن الإحساس المقبض الذي يشعر به في كل زيارة له رهيب، فهو يشعر به وهو يتغلغل في عظامه ومسامه ويبدأ برؤية الدنيا بضبابية وظلام، إذا كان هو فلماذا لا يأخذه مرة واحدة؟

أم أنه يعطيه إنذارات مرة وأثنتين حتى ينصلح الحال أو يميل.. لا فرق.. المهم أن حاله في هذا الوقت لا يعجبه، أم يا ترى يعجبه فقرر أن يريحه من تعب الدنيا...

(٢)

في الصباح وهو يركب عربة المترو المكتظة بركاب رمضان الصائمين والتي تلتحم فيها أجساد الفتيات الطريات الذاهبات للمدارس والجامعة مع الأجساد الواهنة الجائعة للرجال الذاهبين لأعمالهم، فرغم الصيام والسن ومحاولة الاحتفاظ بالوقار البادي إلا أنك تستطيع أن ترى عرق الولد المتصبب من جراء الالتحام غير المقصود.. ولا يكف عن سؤاله لنفسه.. لماذا زارني عزرائيل أمس؟! محاولاً إلهاء نفسه عن الالتصاق التام بصدر الفتاة التي أمامه.. فجأة ينتبه للمصحف الصغير في يده ويقرأ فيه بتمتمة مسموعة قليلاً، هل يفهم ما يقرأ؟

إن صوت قطار المترو الصادر في الأنفاق والذي يذكّره بصوت البابور الصغير التي تسلق أمه عليه اللحوم عندما يكون هناك عزومة كبيرة لا يزعجه أبدًا ولا يقلقه أثناء قراءته في المصحف ويسترسل في سؤال نفسه: لماذا زارني عزرائيل أمس؟!

أغلق المصحف وابتعد قليلاً عن صدر الفتاة وهو ينهج بانفعال مصدرًا آهة مكتومة وهو يلعن البنت الذي يشعر أنها لم تنزل في المحطات السابقة عن عمد، يعود لأحداث أمس محاولاً البحث عن إجابة لسؤاله المتكرر، وخاصة آخر زيارة على اعتبار أن الأحداث السابقة للزيارة قريبة، فأخذ يراجع في عقله أحداث اليوم السابق محاولاً إيجاد السبب.

ربما زاره لأنه رد على أبيه عندما قال له.. لا تطلب مني أي

شيء بعد الآن بما أنك قررت أن تأكل في الشارع فلتأكل من الشارع أيضًا، فكان رده أنه بالفعل يأكل في الشارع!

أو ربما زاره الضيف العزيز لأنه لم يأخذ حقه اليوم من صديقته "الزلطة" التي تتعمد أن "تبطح" فيه طول الوقت وتتعامل معه بعنجهية وطيبة مفتعلة كمديره في العمل الذي يتلذذ بشعور الذل في عيني من حوله، أيضًا هناك احتمال أنه زاره لأنه لم يقل لأصدقائه عندما عرضوا عليه فتح محل سمك أن فكرة الأكل هذه فكرة تخلو من أي عقل وأنها لا تناسب مجموعة تحاول أن تكون مختلفة عن الكون، فإذا بهم يصبحون أحد مكوناته الرئيسية المؤثرة بالفعل ولكن مؤثرة على شيء واحد فقط هو بطن العالم.. زاره كي يؤازره ويذكره أن أصدقائه المجانين الذين يبحثون عن المال في بطن الحوت لن ينالوا مالاً أبدًا؛ لأنهم غارقين تمامًا في بطنه، فلا هم يسمعون ولا هم يأكلون.

يؤكد عليه عزرائيل أنه صح، يخبط على صدره خبطة مرعبة فقط ليؤكد له أنه معه، فسيأخذه في أي وقت كي يريحه من عناء الصديقة الباردة والأب الذي يتملكه الشعور بالاضطهاد الدائم.. وكذلك الأصدقاء المزيفون الذين لا يجيدون إلا الصيد والغرق في بطن الحوت...

جاء له دون الآخرين في هذه الليلة ليذكره بدعاء "يونس" لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ليخرج من هذه البطن قبل أن يتحول مثلهم لأمعائه أو كبده أو حتى دمه...

(٣)

لفترات طويلة يتأمل عيون الناس من حوله الأصدقاء منهم والغرباء يبحث عن عين تلك الحبيبة الوحيدة التي كانت تبعد عنه صديقه عزرائيل، كان يحتضنها وهو نائم فتحميه من أي زائر، حبيبته ذابت في قطيفة سجادة الصلاة والمسبحة العاج ورائحة المسك. . تاهت مع زوج لا يعرف قيمة كل هذا اللهم إلا من شم رائحة المسك الصادرة من غرفتها وتقدير بعض أصوات الملائكة التي تنبعث من الغرفة وهي تلهو معها. . .

في كل الأحوال فإن ملاكه وملائكتها كانوا جبهة قوية ضد الشياطين الأرضية. . أما الآن فهو حزين لأن ملاكه وحيد لا يجد من يهاجمه سواه. . لقد أصبح لا يغمض عينيه خوفًا من مزاح صديقه "عزرائيل" في لحظة، يتناسى الولد أن الموضوع لا علاقة له بإغماض العينين!

obeikandl.com

(٥)

الغريـــق

obeikandl.com

obeikandl.com

الفريـــــق

وقف محاولاً لفت الأنظار إليه وسط كوبري خشبي متَهدم البنيان يقفز على قدم واحدة يردد هتافات بها هذا المحمل السياسي الذي يعرفه السامعون. . . لا تعليق إلا بكلمة (مجنون) على المتأمل (تخيل قصة هذا المجنون) الذي لا يجد سعادته إلا بالتحرش بالنساء بجرأة مستعدًا لنزع ساتره السفلي لإظهار عورته. . الكل يجري مفزوعًا من مظهره لا يعرف طعمًا للماء كأنه سيذوب إذا اقترب منه. . لا يقتات طعامه بمد يده إنما بكبرياء يسير وقطته وأوراقه القديمة الباهتة للمكان التي تلقي فيه المطاعم الفاخرة مخلفاتها باحثًا عن أنظف طعام فيها يقتسمه هو وقطته عدوة الماء هي الأخرى التي لا تفارقه مستمتعة بتحرشه بها ناظرة له بإعجاب بعينها العوراء، ترفض التخلي عنه إلا عندما يخنقها ويلقي بها من منتصف الكوبري وهو سعيد ضاحك بهستيريا تخيف المارة بجواره، ولأن الناس عودته النفور فإن اقترب منه إنسان يصرخ فيه كالكلب المسعور. . . قرر ألا يرتكن بجوار الحائط ليحدث المارة عن ذكرياته فلن تتأثر عينه بالدمع المكتوم فهم يلملمون المعتوهين، لن يلهث وراءهم وهم في شوارع العشق، لن ينتظر حنينًا، لا يثور أبدًا إلا عندما تنظر له أنثى.

الرجل بالنسبة له سيدُه كلما مر أمامه عظّم بسلام عسكري ممسكًا بالحبل الساقط من بنطلونه ذي الخطين من الجانب وقبعته البوليسية مرددًا تحية عسكرية غير مفهومة اعتقدها قديمة قدم حذائه ذي الرقبة الطويلة المتدلي منه حبل معلق فيه صورة سيدة جميلة تبدو ملامحها من البرواز المكسور الباهت. ما من رجل يقف ليرد تحيته إلا يتركه حزينًا عائدًا لإلقاء نظرة على مقهاه القديم مرددًا أنه لن يعود لمكان لقائه المشبوه في المقهى البريء بل سيلملم أجنحته ويسيطر على مشاعره ويحلق بأجزائه داخل قلوب بيضاء ليحملهم معه لمكان يلتقي فيه نورًا من نوع خاص "مجنون"! ترك من لقبوه باسمه الجديد عائدًا لمقره على الكوبري مع قطته الجديدة البيضاء وحشراته التي تسكن جسده (دون إيجار) والتي استطاع أن يوجد بينه وبينها ألفة سواء الطائرة منها أو الزاحفة، وهي بالنسبة له أصدقاؤه المقربون، وهو حريص أن تكون كل الحشرات من الإناث حتى يقتلعها من جسده ويقتلها وهو يردد (لا أبكي على موتى).

لا يلعن قدره ولا يشتكيه للمارة... لا يقذف أي مخلوق بحجر النسيان الذي يحمله في جيبه، إنما يلقي به مع قطته المقتولة في عرض المياه السارية تحت الكوبري وهو يتظاهر بالبكاء معتقدًا أن مياه النيل هي دموعه وحده دون غيره، احتكر لنفسه دموع المارة جميعهم وأصر على أخذ كل دموعه واسترجاعها حتى لا يشاركه فيها آدمي... فقرر قرارًا ليس مفاجئًا بأن يكسر عفونته

ويطهر جسده بدموعه ويلقي بنفسه هو وقطته الثالثة المقتولة وأوراقه الصفراء القديمة وبروازه المكسور في الماء لتطفو على السطح حشراته الحزينة تبكيه وتقاوم فقاعات ثقله في الماء وكل النساء والرجال فوق الكوبري ينظرون له في تعجب؟!

وسواء رجل أم امرأة نسي الرجل وعاد الكوبري فارغًا اللهم إلا من بعض الباعة الجائلين في طريقهم إلى ميدان كبير يتجمعون فيه لبيع الملابس القديمة النصف مستعملة وحولهم أسراب قطط تنبش في الأقمشة وتمزقها وتهرع فوق الكوبري، حاول الباعة الإمساك بها أو قتلها فلم يتمكنوا. فهو الوحيد الذي كان قادراً على قتل إناث القطط وهي لن ترضى عنه بديلاً... أصبح الباعة كالمجانين ويجرون ويهرولون خلف القطط فتقفز في الماء محاولة إرجاع الملابس لصاحبها المنتحر، لكنها لم تجد إلا فقاقيع...

obeikandl.com

(٦)

ساقي الخمر لا يشربها

obeikandl.com

obeikandl.com

ساقي الخمر لا يشربها

(١)

- هات يا عم الفوطة من عندك .
- خد . . . فين الشبشب بتاعي . . . شوفه كدا في المطبخ أو عند الأمن؟
- يا بني عايز الحق العشاء . . . فين الشبشب .
- يعني أعمل إيه دلوقتي، وبعدين صلاة العشا ممدودة وبراحتك الشغل مش هايسخن إلا الساعة ١٢ فيه إيه .
- ربنا يتوب علينا من دي شغلانة يا أخي . . .
- الحمد لله على كل حال . . . استغفر الله . . .
- إحنا نصلي جماعة النهاردة بقى مادام لسه بدري . . .
- ماشي!

انتهوا من الصلاة ثم تدافعوا إلى داخل البار الشهير ليبدءوا عملهم المعتاد .

"نظف الكاسات، لمع الترابيزات، قف مبتسم بسماحة" .

(٢)

"السكر لا يعني فقدان الوعي، أما الرقص فهو توهان عن عمد. . " .

(٣)

منذ زمن يرد إلى كل الأشكال. . لست أنا هذا الوجه الذي اعتدته. . . عندما أسقي الخمر، أذكر أول مرة جرحت عندما قررت أن أشرب شيئًا سامًا. . كي أنسى أول جرح. . أن كل من يشرب يشرب لينسى جرح ما. . لكن هل ينسى؟!

ما علينا. . لن أشغل نفسي بأمور تشبه الحكم. .

كل ما عليّ أن أقف هنا كي أصب لكل من يحتاج أن يتناسى ما يريد، لكنهم لا ينسون أبدًا. . يعودون كل يوم للسيرة المرغوب في نسيانها. . .

تخرجت بأمل كبير أن أصبح مديرًا لإحدى الشركات

obeikandl.com

الزراعية، فأنا أحب الزرع جدًا، وماهر جدًا في اختراع المخصبات الزراعية. . ولدى قدرة على توزيع اللون الأخضر في الأماكن المناسبة.

وكما تذهب حبيبات الآخرين لمكان به أشباح وعفاريت ومخلوقات خرافية يؤكلونهم، ذهبت حبيبتي!

حاول أصدقائي إقناعي بالشرب حتى أنسى وجعي، رفضت، أنا قوي لا أهرب أبدًا، حتى إلى نفسي؟!

اعتزلت الناس، كرهت الحب!

فلتذهب، فلتحترق لعنة الله عليها!

لا، بل لعنة الله على أنا، فأنا الذي لم يكن معي ما يشتري لي حبيبتي! وها أنا كـ"الولايا" أجلس في البيت تربت على أمي في "الراحة والجاية" معلش يا بني بكرة ربنا يعدلها "أكره هذا الكلام. . . أنا مش هاعد كدا. . . ملعون أبوها على أبو الزمن اللي خلاني حزين؟

فوق يلا، أوم دور لك على حتة أتلم فيها وجبلك قرشين. .؟!

فيه اللي شار عليا بالسفر جوًا أو برًا. . .

"المهم رسا بي الحال مع صديق بيشتغل في البار اللي أنا فيه دلوقت"

لم أشرب حتى الكوكاكولا .

أول يوم لي في البار، وقفت خائفًا مرتعشًا مبتسمًا ابتسامة باهتة مصطنعة . . . أرتدي "اليوني فورم" المعروف بشياكة متأهبًا بابتسامتي لتلبية أي طلب؟ !

تلميع الكاسات وتجهيز الثلج الكافي لكل "المفرفرين دول"، غلابة، هكذا أراهم، أنا أيضًا غلبان، وكذلك يروني هم، غلبان؟

(٤)

على البار تقف فتاة تشبه مومساوات القرن الـ١٩ وملامحها بها براءة في طريقها للموت مع فتى معروف بثرائه، سمعتها تسأله :

- جسمك كله سخن . . بينتفض . . أنت كنت بترقص بهستيريا؟
- فأجابها . . كل الحاجات اللي ممكن ترفضيها ممكن تحصل دلوقتي بسهولة . .
- حاجة غريبة . . إزاي قدرت ترقص الرقص العنيف دا وأنت برجل واحدة . . انت مسكون واللا إيه؟

كنت قد عرفت أن هذا الفتى حفيد لشخصية سياسية عظيمة

صنع الكثير للبلد ومات شهيد، الولد "يزك" على إحدى قدميه وله سابقة انتحار بسبب فشله في زواجه وإنه من برج "القوس" وقالوا إنه مسكون بعفاريت بتعرف تجننه، سبق ومرت عليه من قبل دون أن تؤذيه، حتى عندما انتحر لم يمت، فقط فقد إحدى قدميه، وتكرر للمرة الألف ظهوره كل يوم مع فتاة تختفي من وجهها آخر ملامح البراءة. . .

تتركه وترحل نتيجة لمعاملته القاسية غير المبررة، يقف للبكاء، أسأله:

- مالك يا بني فيه أيه. . عرقت قوي كدا ليه. . نشف عرقك بأي منديل؟
- وهو مختنق بدمعه. . . مش لاقي منديل أبيض!
- يا عم ماشي حالك نشفه بأي لون، المهم متقفش عرقان كدا؟

الأرواح هنا ليست جنوداً أبدا إنما هم عبيد؟!

أصبحت عقرب يقف في وكر للأفاعي غير السامة. . يرقصون بنعومة، ليس لهم أسنان أو لسان ولا حتى جلد ناعم يثير قشعريرة في جسد أحد أنهم أفاعٍ بلا معنى!

إن كان شارب الخمر ليس كافر. . . !! ساقي الخمر ليس كافر، الزمن ليس كافر، لكن الحزن. . . الوجع كافر كافر!

العيون هنا تدمع كثيراً ولا تبكي، بعضهم يرقصون على

ضلوعهم ببلاهة، ولا يفهمون أبدا أن الشمس لها فائدة غير الحرق والحر والعمي. . . !!

كمصاصي الدماء يختفون بظهور الشمس؟

وكل ما أعود به للبيت بعد كل هذا مناديل بيضاء كثيرة وعلب كبريت لبتوجازي القديم. . . !

obeikandl.com

(٧)

خيـــالات

obeikandl.com

obeikandl.com

خيـــالات

يمتلئ العمر بالحكايات . . كبئر عميقة حكيه يسكر . . تشتعل نيران الأنا، لا نتذكر أبدًا جفاف البئر، مهما بلغ العمق لا بد له من آخر . . تلك الأعمار الممزوجة بالحكايات ما هي إلا آيات . . .

صديقي . . اخرج من البئر فأنت تغرق بلا قصد، فربما يكون المكان فسيحًا جدًا وتلك الحجرة الضيقة التي تعتقدها ما هي إلا أغوار البئر العكر داخلك . . .

حدثني بالله عليك فيما وقوفك دائمًا لمداعبة ذاك الرجل الممزق الملابس . . أشعت الشعر مستقبل الغربان والعصافير التي يرفضها الزرع الأخضر، لم تتعاطف دائمًا مع الخيالات؟ الأعمدة المعلقة في الهواء تبحث عن أساسات وثقل إقدامك التي تستحيل لك في الزحام، اختلاط حذائك مع أقدام الآخرين ولون جلدك الفاتح لن تميزه فربما أصابك نوع من الحول المطلوب في تلك اللحظة، عليك بمهارة أن تتعرف على وحدة أعضائك في المرآة ففي الوحدة تقترب جدًا منك فتفكر في أشياء تتجاهلها في وجود الآخرين . . لكنك تصر على البحث عن حزن تبرر به وحدتك فمشكلة عقولنا هي عدم استيعاب الأشياء في حيينها . . .

على الإسفلت الندى يلتصق كعبك المخلوع في الزفت، يقينًا سيبقى لونه مطبوعًا وتستحيل المشاوير إلى أن يزول أثر اللون وعند الوصول للمنزل لا تفاجأ بانهياره إثر زلزال وهمي.. تساؤلك حول كيفية وقوعه تعرف إجابته!!

بطون النساء المنتفخة تدفعك لركوب سيارة بلا فرامل.. بسرعة تلمح وجوه الأشخاص العابرة كأنك في مشهد سينمائي صامت، تتساءل كيف لا يتعجبون أنفسهم؟!

أنذرك لا تدعي الخروج على سماء بيضاء بخطوط رمادية تؤكد وجود الشمس، لكنها مختفية بعيدًا عن عيون تلهث وراءها جفون مطبقة على الأحزان، تختلط مشاعرك فتنزلق في هوة الأشباه ويهيأ لك أحيانًا أنك تعرف مكنون تلك البئر العميقة وأنك على يقين من براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وأن عليك أن تذهب لوالده لتخبره بالحقيقة، وتفاجأ بأنك في زمن غير الزمن لكنك في نهاية الزمن المحدد يخترق عقلك مزيج من الموسيقات البلهاء، فهنا عود شرقي وهناك صاجات! زحمة من الأصوات التي لا تدرك كيف جمعت ولك أذن ما تسمع وأنت في خضم كل هذا لا تدري أين الصحراء وكيف كان هناك فرعون ومن كان يوسف؟

أتصدق أن هناك معجزات، فزمانك لن يكون أبدًا زمن يوسف؟

هل بإمكانك الاعتقاد بأن هذا الكهل سيحتضنك يومًا ما بدلاً من ولده المفقود حتى يعود، وأن عليك مساعدته لتعيد النور لعينيه لفترة ثم يأخذونك "للجب" فلتفعل إن استطعت؟

فلترتد إذن ذاك الجلباب الطويل جدًا وعش دور الناسك المتعبد حتى تظهر لك كرامة أحد الأنبياء، واقتت من ورق الشجر وماء البحر، انس تمامًا أننا هنا بين هذه الفوضى وأزح من عقلك التمني والحلم. . .

شأني شأنك أرغب في التحليق، لكنك لم تثبت لي حتى الآن أن بإمكانك وضع الريش اللازم والطيران، وكل ما عليك هو التندر بحكايات الأولين وكيف كانوا وماذا فعلوا. . تساؤلك الدائم. .

"لماذا يفعل الطير ما يجب أن نفعله نحن"؟

الكل في غفلة أخي وباستطاعتك إخافتهم، لتضع الريش أولاً وضع لي آخر. . .

حدثتني صديقتي اليوم عن رجل مات قديمًا كان له كرامات، لنستدع أنا وأنت روحه، تأكيدًا يتمتع بصفات زمنه، لنتحدث معه!

مقبرته واسعة جدًا عليه! لذلك ينظر لنا في رثاء عائدًا لها فلا داعي لإزعاجه. . . الكل يأكل ويشرب ويصلي ويترهبن.

الكل يعيش، لكن في بدء الأمر وآخره لا تسألني أبدًا كيف نعيش؟

obeikandl.com

(٨)

وهـــــج

obeikandl.com

obeikandl.com

وهـــــج

ذهبت لركوب الخيل لأول مرة في صحراء الهرم. . . لم أكن أعرف الفرق بين الفرس الأبيض والأسود، امتطيت الأبيض، ولمحت فرسة سوداء، تذكرت "صديقتي" فورًا، خاصة عندما رأيت عيونها السوداء الواسعة والرموش الطويلة التي تظللها، ما أجمله من إحساس أن تركب فرسًا يجمح بك في صحراء لا نهائية، وأن تتلذذ الوجع بين فخذيك من هزهزة الخيل لجسدك، ترتعب وأنت تجري والفرسة تعشق الجري بك أنت فقط، ولو كانا وليفين وافترقا في الصحراء بفعل راكبيهما، يسيران ببطء شديد وهما حزينان، وعندما يقتربان من بعضها يتناجيان ويتنافسان في السباق بسعادة بالغة، بشعرهما المسترسل على الرقبة والذيل وقفت بي فرستي على أعلى هضبة.

في الهرم رأيت خلاء لا متناهيًا، ذهبت إليهم داخل الهرم، حاولت جاهدة أن أرى من يعيشون في هذه المنطقة، سمعت أصواتًا كثيرة قادمة من هناك. . نعم حياة كاملة فهم ينعمون، لم يموتوا، كانوا على يقين تام باعتقادهم بالبعث بعد الموت، كما نعتقد أنا وصديقتي تمامًا في هذا، ولذلك قررنا أن نكتب أيامنا سويًا في دفتر كبير جدًا، كما فعلوا هم وسجلوا تاريخهم على حجر، البشر المتعاملون معهم من ماتوا ومن بقوا سنصفهم كيف

دخلوا فينا وخرجوا منا؟!

(١)

نكتب عن كلابنا السود، حور المنتحر من سابع دور وعن جمر التي كانت تقطع أغراض كل من تشك بأرواحهم وقطتنا الصغيرة التي لم تحتمل "صديقتي" احتضانها خوفًا عليها، سنظل نكتب ونكتب يومًا بيوم، يوم أن بكينا وضحكنا لنفس السبب عن خلافاتنا التي تنتهي بالعناق والبكاء وشائعة ممارستنا للجنس سويًا جلوسنا للبيت رغم عدم راحتنا لذلك، عن زيارتنا للمنصورة، حيث قبر والدها وصديقه المتوفى الشاب الذي عشق الحرية ومات من أجلها سنة ١٩٧٢م شأنه شأن جيله، ووالدتها السيدة (الرجل) التي تتولى مسئولية عائلة كاملة بجبروت وحنان وصبر غير منتبهة لعينها التي تخلعها كل ليلة كي تنام حتى تستريح من الوجوه التي تراها يوميًا، ومتعتها في البحث عن عينيها المفقودتين في البيت، بعد أن ضاعت عدساتها الطبية. . . سارة تتحسس الطريق بريبة. . . كانت قديمة عدساتها، تاهت بشكل سفلي، أخذت تتلو التراتيل والمعوذات حتى تعود إليها، لكنها فقدتها فاكتفت بعينها التي تخلعها وتركبها وقتما تريد!

أما جدتها الجميلة جدًا، فتنام الآن بانتظار زيارة أولادها الثلاثة يوميًا، تناجيهم وتطلب منهم انتظارها كي يستقبلوها في دنياهم، فهي ذاهبة إليهم لا مفر.

وكذلك زيارتنا لعمي في باب الخلق واحتضانها لي في أحلك أيامي ظلمة وصبرها على أجتنابي وتمردي ووجعي، ورفضها الاشتراك في جريمة قتلي التي تقوم بارتكابها كل العائلات، حثا على السير لمسافات طويلة حتى يقل وزني وأصبح في وزن الفراشة، سكبها للسائل السميك جدًا عليِّ حتى لا يراني الآخرون بوضوح، أول كتابة لها على جبس قدمي "أعشقك" ثم مراعاتها لي وتسنيدي بقدم واحدة. . . وتحملها لي وأنا أتحدث ليلاً لكائنات غير موجودة إلا في خيالي وكذلك كائناتها المختبئة في الأسقف والبلكونات والتي دائمًا ما أرسلنا لهم، نكلمهم نعانقهم أو نختلف معهم، وعندما ذهبنا للمتحف المصري، ورأينا شبيهاتنا بينهم، لم نندهش فقد كنا على يقين أننا المبعوثتان لأشباه لنا في زمن سيأتي، وأنه في يوم ما ستنشأ صداقة بين فتاتين، ربما بعد ألف عام أو أكثر سيلتقيان في ظروف تشبه ظروفنا ولأهل مثل أهالينا ولأصدقاء مثل أصدقائنا وسيأتون لمتحفنا يرون مومياواتنا ولن يندهشوا من وجود شبيهات لهن في زمن ولى! سيكررن نفس أفعالنا ويعشن نفس أحلامنا، لكنني أتمنى أن يحققن ما حلمنا به ولم نحققه.

(٢)

تثير انتباهي بعد الغفوة ضجة المكان، فأنسى الفرس وأنسى الصحبة وأذهب إليهم أبحث بينهم عنا. . أتوه في صخب المدينة القديمة، وجوه كثيرة أعرفها هنا، رأيتها من قبل أكثر من مرة لكنهم لا يرونني، جميل أن تشعر أنك شبح لا يراك أحد كي تتصرف كما يحلو لك وتذهب إلى أي مكان تريده. .

لمحت بعيدًا فوق الجبل بيتًا أبيض واسعًا، دخلت البيت، هدوء باد وراحة عظيمة، رائحته آلفها، وهذه الخضرة المزروعة في كل مكًان وفراشات ألوانها جميلة تحلق حولهم، وصوت لآلة "الهارب الفرعونية" آت من داخل إحدى الغرف ترقص الفراشات على أنغامه الحًالمة. . لا تكاد تسمع أصواتًا لبشر هنا. . أتساءل. . من ساكن هنا؟ هناك أرفف خشبية مغموسة في الجدار مليئة بالكثير من الكتب الكبيرة القديمة وقارورة بها مجموعة فرش ألوان وصينية فخارية كبيرة مقسمة لأكثر من خانة، بها ألوان سائلة وريشة سوداء كبيرة قطعت من جناح لطاووس عظيم؟!

(٣)

تسللك لغرفة أخرى ينزل من جدارها مياه نقية لها خرير كالنهر لعده على حوض مربع كبير كحمامات السباحة المعروفة لنا ويطلع من الحوض الذي به ثمار فاكهة رائحتها زكية تعطي للمياه قيمة صحية لمن يستمتع بهذا الحمام، بصراحة لا أخفي عليكم تمنيت لو كنت من ساكنيه، كل الخيرات هنا بلا تدخل ليد إنسان، وفجأة وأنا أتلصص سمعت أصواتًا قادمة للحمام، اختبأت خلف حجر كبير من الجرانيت الأسود مستعملة كمرآة، فإذا بفتاتين رائعتي الجمال تدخلان المكان. . أصابني الذهول فجأة إنهما. . نعم. . أنا. . هي؟ كيف؟

(٤)

دخلتا هذا المكان كي تستحما وتستمتعا في حوض الحمام على أنغام الهارب كما نفعل أنا وهي في بيتنا، حيث ندخل لأخذ حمامنا في البانيو على صوت "فيروز" وهما أيضًا مثلنا لا يباليان بشكوك بشر لا يهتمون إلا بنقش الحجارة دون بث الروح فيها. .

أيهتمان لمن يضعون الأحشاء في قدر ويحنطونها كي يراها الزوار، هم يلعبان أيضًا لعبتنا المفضلة بالتنبؤ. . .

يتكلمان عن زمن ستوضع فيه توابيتهم في الحانات كي يشربوا عليها كؤوس الخمر. . آه. . ياللحسرة، خرجتا من الحمام وقامتا بتهذيب نفسيهما وارتدتا ملابسهما الفضفاضة الشفافة وخرجتا لحديقة البيت. .

يحتسان الآن مشروبًا لا يظهر ما هو، وتحوم حولهما الفراشات وهما ترقصان على أنغام الهارب الآتية من بعيد، ضحكاتهما عالية بريئة، يتناجيان مناجاة راقية يجلسان على فوتيهات حريرية بجوار نافورة رخامية بيضاء، وعلى ضوء الشموع الكبيرة المنحوتة على شكل تماثيل لإلهة إغريقية عارية، ينتهيان من القراءة، تعود إحداهن إلى الريشة والألوان بالداخل لترسم الطاووس الواقف أمامها، الأخرى أمسكت بريشة الطاووس، غمستها في سائل ما أمامها ثم أخذت تخط على ورق البردي وتكتب بلا انقطاع، دخل عليهما وقت الغروب وهم لا يشعران إلا عندما أتى لهما زائر مفاجئ، طرق الباب بشدة مزعجة؟

- يا له من شخص سيئ هذا الذي يطرق بابنا دون أدب.
- ولم يرسل لنا رسولاً كي يعلمنا بحضوره، أنفتح الباب؟ لم لا نتركه حتى يرحل.

فتحتا الباب بعد تردد، فإذا بفتى شديد الوسامة، أسود الشعر

وعيونه حالكة السواد تطل منهما نظرة بها عشق للاثنتين وخوف لا معنى له، وملابسه من الكتان الأبيض يلف بها خصره حتى الركبة، كان يزورهما من حين لآخر بفرسته الجميلة، لكنه هذه المرة حضر فجاءة وبدون فرسته، سألتاه عن فرسته، ولماذا تركها وسط الناس دون خوف عليها منهم، أخبرهما بأنها فرت منه بعدما قالت له بجرأتها المعهودة كفرسه:

"لقد سرت بي في طريق وعر ولم تحسن تدريبي على فنون الفروسية، لن أستسلم لخيال آخر... سأسير في طرقي الخاصة الممهدة لي خصيصًا.. أما أنت فخيال لفرسات ناعمة أليفة تتقن الفوز في السباق بلا تعب.. فلتبحث عن غيري، فلن أكون أبدًا ضمن فرساتك الناعمات فشعري ولوني وطولي وعقلي مختلف ولا يناسبك.. فلتبحث لك عن فرسة تختال في السباق بكبرياء ودلال؛ لأنها ملكة الفرس، أما أنا ففرسه حرة تسابق الريح في الصحراء، تعشق وليفها بلا حدود".

تبديان سعادتهما لأجل الفرسة وتعاودان سؤاله.. هل يفتقدنا أحد؟!

فيخبرهما أنهما في أحسن حال، وأن الجميع يحسدهما على عزلتهما ويتمنونها، تزداد سعادتهما ويؤكدان عليه أن كثيرًا منهم حاولوا دخول جنتهم لكنهم لم يتواءما مع أرواحهما، كما أن الناس لا تهتم إلا بمن يثير نميمتهم وهما لا يسعيان لتشغيل آلات

النميمة أبدًا، سأتوقف عن الدهشة، فهم مثلنا تمامًا، فلدينا أنا وهي حاسة قوية تكشف لنا أرواح الآخرين أيضًا، لذلك يهربن بلا رجعة ويظلان يصليان ويصليان حتى تتلاشى أرواحهما، وهذا مصير من يقترب منا لتفرقتنا، نطرده، ونغلق الباب خلفه!

(٥)

يلعب بمخيلتي حديثي أنا وحبيبتي عن فتيان أحلامنا، وصعودنا لسطح الدار لنطير مع فتياتنا ولم تكن المرة الأولى التي تقع فيها أجنحتنا ونظل معلقين بالهواء وليست المرة الأولى التي تهرب فيها الطائرات الورقية التي نتشبث بخيوطها ونركب فيها أحصنة خيالنا ونعود إلى فرساننا!

نظل معلقين رغم وجود طيور بأجنحة كبيرة حولنا وما إن تحاول مساعدتنا حتى نقع، فهي كبيرة!

ذهبت إلى صديقتي لإحضارها هنا مع الشبيهتين لأرواحنا، امتصصت دمعتها ولمحت حزني، لنكون أنا وهي بئرًا من دمع نغرق فيه أخوة يوسف جميعهم، أشباه الإنسان، فالبئر عميقة بما يكفي لاستقبال المزيد، نحوم حولهم ونكون من هذه الأرواح الشريرة أجنحة كبيرة، تأتي لنا تلتصق بجسدينا، فنعاود الطيران، ومن جديد ينفك الغراء وهي من البدء لأرواح شريرة، لن تكون المرة الأخيرة أن نكون دمعًا مختنقًا لعاشقين لا نرغبهم، فليبكوا فهذا هو العدل. . . لنأتي بزليخة لتعطينا درسًا بعشقها للفتى

الجميل ونجمع النسوة المذهولات ببريقه، نشاهد دماءهن المتناثرة من أيديهن وهن يخططن الـ٩٩ اسم الله على أيديهن متناسين الألم والماء، اسنراضى مثلهن ونتحمل الألم ومشهد الدماء، هل سنحاول تحرير يوسف من سجنه لنعاود عشقه؟ أيحلل عشقه مثلهن؟

يقاومان حتى الآن؟!

قرر إبليس وضع مكافأة لمن يستطيع، فأصبحت تتفنن الأبالسة الصغار والكبار في ذلك، فهل ينجحون؟

obeikandl.com

obeikandl.com

(٩)

شرود اللؤلؤ

obeikandl.com

obeikandl.com

عناق حاد بين السماء والماء وتوحد هائل في الألوان. . على حافة السفينة الواقفة معتقدة إنها تسير في عرض البحر المتحجر، تذهب بخيالها لأبعد من حدود البحر وتحايل الليل والنهار أن يتعانقا مثل السماء والماء!

تتمنى بخيالها بل وتعيش داخل هذا التمني في أن تسكن قوقعة مائية ومعها محار سام يدافع عنها ضد كل أكول يحاول التهامها، تحتضن قوقعتها الصدفية اللامعة. . تنادى محارها المفقود داخل الأخطبوط المستكين الذي لن يقربها، تصر على مشاكسته ومعاندته ومحارها الرقيق لا يقوى على الدفاع عن نفسه وعنها.

وهي في رحلة البحث داخل غياهب السحب الراكدة في أحضان السماء، تعتقد مجدداً أن السفينة تتحرك بتموجات البحر الرقيقة التي تداعب جندول السفينة مصراً على ملاحقة محارها.

تعاود التيه داخل الموجات، تنسى دوران رأسها الناتج عن اعتقادها وتعود للمحار المفقود لتضعه في صدفتها، تصارع أخطبوطًا يحاول أن يلتف على عينها ويعصبها ليلاعبها (القطة العمياء) تلف وتدور وهو يلف ويدور معها فتسقط مغشيًا عليها، يتركها في دوارها المؤقت ليرحل بعيداً عنها فهي لا تبادله اللعبة الآن.

استيقظت على صوت خفيض آت من أعماق صدفتها . . . يلمسها بحنان الريش، تفيق على حضن محارها التائه . .

أعاد؟ نعم عاد يناديها :

"يا مومياء محنطة في باطن الأرض الجافة، يا تمثال الصمت داخل ضجيج الألم، أمل لا يعرف الصدق ودمع لا يرجو الكفاية .

يا أمنية لقاء غائب وحلم للعدم . . . كل الأحلام كوابيس وردية لا تشفي ألمًا . .

اكتشفوا فيك أثرًا ولكن هو أثر لعدم" .

لم تبلغ سن الرشد بعد، وقفت بين الأقواس المترامية على حواف الزمن المسنون . . . تلعن أماكن وتحكمها .

انتقلت من مكان الوقوف أعلى الغابة التي اختارتها خصيصًا لتعلن أنها ذاهبة إلى زمن آخر بمركبتها!

معتوهة . . . استقلتها ولم تبال بالنداءات

اختارت البوابة الرئيسية . . . دفعت بنفسها داخل المركبة دون خوف؟!

عيون تأكل جسدها ووجهها يحاولون تعرية تفاصيلها المخبأة!

تعترف أنها لا تحكم إغلاق المخزن جيدًا، لذلك هم يرون مخزونها محاولين استغلاله .

لن يروها، فعيونهم أتفه من أن ترى ما تحويه خزائنها؟!

بدأ جسدها يتآكل وعقلها يذوب تدريجيًا.. لا تعرف معنى لأي شيء.

ما هذا الكون؟ لمن هذه الأسماء؟ الاحمرار يكسو بشرتها الناعمة فيشوهها أكثر مما كانت عليه والآن يتأملونها ولكن بعد أن قطعتها سهام أعينهم.. أصبحوا لا يتمنون مثل هذا الجسد؟! ولن يبعدوا سهامهم عنها ولن يتجهوا وجهة أخرى حتى تتلاشى عيونها وتصبح مثلهم من فاقدي الحواس تتطلع الآن لانعكاس صورتها في الماء، تجدها ساحرة...

ألهذه الدرجة يؤثر البحر فيمن يعشقه؟

تجيد السباحة لكنها إن حاولت أن تحتضنه ستغرق؟!

لم تصدق عينها المفكوكة لتوها من عصابة الأخطبوط فهي لم تتوقع التصاق محارها بها بهذه البساطة مرة أخرى وكأنه لم يبرحها، وكأنه لم يكن مجرد حلم موجي بين طيات الأمواج الصامتة.

في غمرة الأحلام استيقظت على أغنية "فات الميعاد" رأت البحر أمامها لوحة زيتية لا تتحرك موجاته ولا تهتز سفنه، رأته بحرًا ميتًا داخل لوحة فنان مشلول الأيدي والعين، نادت عينها الواقعة تحت صورتها المعكوسة في مرآة البحر لتصعد من حلمها

وتلتزم بواقعها فوق السفينة الواقفة والتي تفكر بأن تترك الحلم لتعيش في وسط المجموعة المشتتة معها في رحلتها، لا تصطدم بأن مجموعتها لا تحتويها حتى وإن كان احتواء أخطبوطيًا . . .

تألمت لأن بني جنسها لا يفهمون خامة صدفتها، لم يعوا أنها تبحث عن محار يناسب صدفتها المصقولة، سايرتهم عقليتهم بأن ما يحوي جسدها جلد بشرى سهل تلوينه وأن عينيها المقشورتين هما العينان اللتان تريان الأشياء بالمعكوس.

لم تحب هذا الرداء الجلدي؟

انسحبت بعقلها الذي يكرهه الجميع حولها. . . عادت لعاشقها المنتظر في القاع ليطفو بها إلى السحابات الثلجية الناعمة ليتبلور في عمق صدفتها ويتقوقعون داخل تنفسات القلوب المتعطشة. . فكلما شعرت بهذا التيه في عالم الطين الملون لجأت لعالم الماء والسماء.

لن يفقدها أحد؟ ربما...

لكنها لم تتعود العيش داخل البحر؟!

سيأتيها بكل اللآلئ من محار القاع ليزين بها عينها ويدها وجسدها، سيأتيها بجنيات البحر كجوار ويتوج رأسها بقلبه الذهبي... ليعلن أنها عروسه الأنيقة التَي يتمناها كل ملوك البحر.

(١٠)

بعيدًا عن الحرب هناك قتلة

obeikandl.com

obeikandl.com

بعيدًا عن الحرب هناك قتلة

أشعر أن الدماء ستنفجر من أذني وستجحظ عيناي خارجتين من وجهي بشكل ملحوظ ونافوخي سينفجر وتخرج منه نافورة دماء ساخنة جدًا، الشرايين المتعبة في جسدي كله ستتمرد الآن وتلعن كل لحظات الحزن والاكتئاب والفرح والأمل الذين أعيشهم أحيانًا . . .

كيف تلتزم الصمت عن الحزن وأنت موجوع هكذا؟

لتذهب الملائكة إلى الجحيم، والطيبون المدعون إلى قبور مصاصي الدماء حتى يتأكدوا أن هناك بشرًا يشربون الدماء!

هذا العالم المرعب . . الآن فقط ستصل الأشياء إلى ميناء البحيرة هناك . . ابتعد من هناك

إن خيالات المآتة العمياء زادت في الأرض الزراعية ونسي المساكين أنه ليس هناك زرع . . من ستطارد الخيالات . . فلم يعد هناك طيور تأكل الزرع . . الطيور الآن تأكل اللحوم فقط!

إن أصعب ما يكون أن يفكر لك صديقك الحميم ويقرر لك مصيرك لأنه يحبك فقط . . وينسى هذا الصديق نفسه أنه لن يقبل أبدًا أن يقرر مصيره أحد أو ينصحه أحد بتغير الخط الرفيع الذي يسير عليه!

للأعمى دائمًا عين واسعة وجميلة ورموش طويلة، يخدعك من بعيد إحساسها حتى تفاجأ بأن هناك يدًا تسحب الأعمى لتجلسه أو تدله على الطريق. . وبعينيه الواسعة يلف ويدور إنسان عينه يمينًا ويسارًا وفوق وتحت، لا يهدأ أبدًا، ويظل حاجبه يطلع وينزل إذا ما استشعر دبة النملة بأذنه، ليس الأعمى وحده من له عين جميلة ولا يرى بها!

أول مرة رأيت فيها ذلك الوجه كنت أخاف منه حتى قبل أن أراه عن قرب، أعرف جيدًا أن خلف هذا الوجه ما لا يشبهه، فهو وجه مصنوع حتى يخفي العجينة الحقيقية التي عجنتها الكثير من الأيادي، وفي آخر الأمر لم نجد يد صانع حقيقية لتشكله، أقف أمامها بنفس الوجه، لكني لم أنتبه لفكرتي القديمة عن العجينة المخبأة داخل الوجه، صدقت كل الكلمات الصادرة عن هذا الفم ونظرات العين ولمسات اليد، بل إن في كل لمسة أو نظرة أو كلمة كنت أصنع لها معنى آخر غير معناها الحقيقي وأبالغ في الإحساس بها واستطعت أن أصنع من هذا الوجه عجينته التي ميزته بعد ذلك. . .

بكل غباء وسهو نسيت أن هذا الوجه أخذ يتلذذ بامتصاص روحي التي تشكله حتى يكون له هو وليس لي، فكانت العين تسرق اللمعان والأنف يستنشق العطر النقي والأذن تلتقط الرقة والنعومة من صوتي. . أما الفم فقد قام بشفط الروح تمامًا. . .

كيف ستتم العملية إذا لم يشفط الفم روحًا تناسبه . . . ؟

الأب . . الأم . . الأصدقاء . . لعنة الله عليهم جميعًا . . لماذا لا يرون آدميتهم قبل أن يروا أجسادهم وعقلياتهم وأنانيتهم . . .

إنها ليست بجديدة أبدًا هذه الحكاية ، أن تقف لتسلم على أحد الأصحاب فيلاصقك ثم يبتلع روحك وعندما لا يجد شيئًا آخر صالح للشفط ، يرمي بجثتك عند أول سلة مهملات لأنك بالطبع أصبحت أحد فوارغ الزجاجات المثلجة ، وحتى روح أخرى ستظل سلة المهملات تمتلئ وتمتلئ بالأجساد المجففة أثر استنشاق قاتل من أنف أو امتصاص روح ، لكن هل عندما تقاوم بقليل من الأنفاس المتبقية ، وأنت تلهث من أثر الشفط ستتوب عن الوقوف للسلام على الأصحاب؟ !

obeikandl.com

(١١)

الفراغ يأكله الورق

obeikandl.com

obeikandl.com

الفراغ يأكله الورق

أكثر من مرة أفتح الكوتشينة لأرى هل يا ترى ستتحقق أمنيتي في العثور على فارس أحلامي لكن في كل مرة تقف البنت وحيدة وسط الورق برأسها المزدوجين . . الرأس الأولى تنظر لأعلى فلا تجد إلا أرقامًا . . وبالصدفة إن وجدت صورة مثلها للأسف لا يجوز لها أن تأخذ لا الولد ولا الشايب، لا يجوز للبنت أن تأخذ إلا بنتًا، ثم تنظر للأسفل فلا تجد إلا فراغ الطاولة الرخامية الواقف عليها الورق، البنت لها نظرة حزينة حتى وإن كانت مبتسمة، لقد رأيت الكثير والكثير من ورق الكوتشينة، فلم أرى أبدًا بنتًا سعيدة أو ولدًا سعيدًا أو حتى شايب سعيدًا . . .

إنما يجلسن هكذا باستسلام بين أرقامهم بلا ثورة أو قلق حقيقي وبلا أي الفعال . . مستسلمين لأيدي اللاعبين بلا مبالاة، لكن لماذا أشعر وأنا أقوم بفتح الكوتشينة لنفسي كالعادة، إنها تتمرد علىَّ بلا استثناء سواء الصور أو الأرقام . . .

هل لهذا الغباء الذي تتمتع به، أم لأن الكوتشينة اعتادت اللعب بها وليس تقديسها، كما أحاول معها، يا لها من غبية . . لا . . بل أنا الغبية، لماذا لم أحاول مرة واحدة أن أمتعهم وألعب بها، فالجميع يجيد اللعب بها . . .

ألقيت بكوتشينتي المسكينة التي تعاني من غبائي وتركتها

لحالها وجلست لمتابعة المجموعة التي تجيد اللعب بها لعبة اسمها "الترنيب" . . أسمع كل منهم يقول للآخر ما لديه من ورق . . .

باص

سبيد

هارت

دامه

صنعوا لها عالمًا حقيقيًا وقيمة عالية فها هم يرنمون بها . . يصنع كل شريك في اللعبة لحنًا خاصًا بترنيمة جديدة على ورق الكوتشينة، يتعاملون معها كآلة موسيقية ساحرة . . إنهم بالحق يجيدون التعامل معها . .

إنها تذكرني بعساكر ملكة إنجلترا الفاشلين في بلاد آليس العجيبة، يحركونها كيفما شاءوا وهي سعيد بابتسامة ساذجة . . .

وقد لاحظت أن كل الصور مبتسمين في اللعب، وكلما "رزع" أحدهم ورقة أصدرت صوتًا مدويًا على الطاولة وكأنها تقهقه من الفرحة . . .

مع مرور الوقت اكتشفت لماذا تسعد الكوتشينة عندما يلعبون بها، إنها الماكرة تسحر لهم وتجعلهم يبحثون عنها كلما أتوا لأي مكان هي فيه وتأخذ منهم كل وقتهم . . منشغلين بها دون أي شيء آخر . . أثناء لعبهم بها لا يفكرون إلا في ورقاتها وألوانها الجميلة . . .

أراها قبل أن يبدءوا بالبحث عنها وهي راقدة على رفها الخشبي تنادي لهم بطريقة مشعوذة، وما إن يمسكوا بها في يدهم ضحكة شريرة واضحة ثم تلعب أوراقها معلنة غيظها لي . . .

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٢)

الثلاثاء الموافق ٢/٩/٢٠٠٣

obeikandl.com

obeikandl.com

الثلاثاء الموافق ٢/٩/٢٠٠٣

بدأ أمس تقريبًا، حيث شاهدت فيلمًا غريبًا بعد منتصف الليل، كان يحكي عن رجل صحفي تخطى الأربعين يمارس الحب مع فتاة تصغره بخمسة عشر عام، ليس هذا الغريب، بل الغريب طريقته في هذه الممارسة، فهو يدفعها لأن تبصق على كل وجهه، تخجل هي، لكنه يصر على أن تستمر وهو يؤكد لها أن ما تفعله بالنسبة له فيه حياة أو موت، وكلما بصقت على وجهه، تلوي نشوانًا، إلى أن انتهى الفيلم وهو يقود سيارته بكبرياء يحسد عليه ونظراته بها جرأة وتحد لأي عين تفكران تنظر له، وبمجرد أن تلمسه فتاته يتبدل كبرياءه لنعومة وجرأته لخجل!

ترتبك عجلة القيادة في يده!

تقريبًا لم أنم، فقد شعرت كأنني الفتاة وأنني التي كنت أحتسي الخمر معه، وشعرت وكأن دمي يسري بدلاً منه خمر؟!

طلع النهار أخيرًا.. كنت جائعة جدًا.. وجدت كل أنواع الإفطار.. فول ومستلزماته.. جبن رومي وبيض وتوابعهم.. المهم، أنني قمت "بتلقيط" الإفطار وأنا واقفه سارحة في فيلم ليلة أمس الغريب هذا، وذهبت للعمل.. "حاسة أن اليوم دا هاقضيه لوحدي.. مش عارفة ليه"!

دخلت المكتب، زميلي مشغول بالتليفون، فتحت الباب وهو

يرجوها: أرجوكي، فكري كويس الموضوع دا بالنسبة لي حياة أو موت، قاطعته:

موضوع إيه يا بني دا، أنت مش ها تبطل بقى، أنت مش مجوز ومخلف، عايز إيه بقى منها، وهي كما أرملة وعندها تلات عيال، ها تعمل بيها إيه، دي عايزة بنك، مش مجرد حبيب يا حبيبي...

لا، محتاجة حبيب، صحيح فيه في موضوعنا مشاكل كتير، عيال وفلوس وفرق السن، لكن موضوع الحب بالنسبة لها حياة أو موت؟! أرجوك كلميها وأقنعيها، لأنها مترددة شوية، أرجوك حاضر يا عمَ، ها قابلها وأقنعها ولا يهمك، المهم الحياة تبقى فل.

اتفقت مع الزميلة العزيزة على لقائها بعد المغرب لإقناعها.. دخلت مكتب وأنا في طريقي للانصراف من العمل وجدت كل الزملاء في هذا المكتب وهم أصدقائي يتناقلون بينهم نظرات "مدارية" ومن المفترض أنها محاولة لإخفاء حب كل منهم للآخر عني، "بصراحة باين قوي في عنيهم" وخرجت من مكتبهم وقد عرض عليَّ أحدهم أن يقوم بتوصيلي لهيئة الكتاب بسيارته، وهو يقول لي "أعرف أنه بالنسبة لك الكتاب موضوع حياة أو موت، لكن أنا بالنسبة لي الحب هو اللي حياة أو موت معلش دي حقيقة محدش يهرب منها"!

بالفعل أوصلني زميلي لهيئة الكتاب، ثم ذهب في طريقه، وذهبت أنا بعد ذلك للقاء صديقتي التي تركتني أنتظرها ثلاث ساعات، ثم اتصلت لتخبرني أنها تعتذر عن المجيء؛ لأن أختها في حالة وضع الآن بين الحياة أو الموت ويجب اللحاق بها.. لا شيء، المهم أن تطمئن على صحة أختها!

إذن الآن سأذهب لإحضار تحليل الدم الذي أجراه زميلي الذي يسكن في المحلة ولا يستطيع أن يعود في نفس اليوم لإحضاره.. وقد أكد عليّ أن أسدي له هذه الخدمة التي هي بالنسبة له.. أو...!

ولا تنسوا أن لدى موعدًا مع زميلتي الأرملة التي يحبها زميلي المتزوج.. لكن وأنا في طريقي للقائها اتصلت بي لتخبرني ـ بكل أسف ـ إنها لن تستطيع المجيء في موعدها لأن جدتها تحتضر الآن وهي بين الـ.. والـ...!

" أنا النهاردة اشتغالة الزمن " .. أهلاً..!!

مر كروان.. آآه.. أخيرًا.. هناك صوت حي معي...

هاتفت كل الأصحاب، هل تصدقون أن جميعهم مشغول في أشياء تمثل لهم.. حياة أو موتًا...

سأتخذ قرارًا فورًا.. أول من سيأتي الآن ليجلس معي دون طلب أو اتفاق معه، سيكون صديقي للأبد.

obeikandl.com

(١٣)

لفنجان القهوة يد واحدة

obeikandl.com

obeikandl.com

لفنجان القهوة يد واحدة

(١)

وأنا أشرب فنجان قهوة ذات مرة في أحد أماكني القديمة، قابلني أحد الأصدقاء المتفرقين، دائمًا ما أراه على أرجوحة بلا أرض تسندها إما يرسم أو يشرب حتى يحتضن كل الفتيات حوله متخذًا من غياب الوعي حجته. . أخبرني أنه رأى البنت المفقودة منا في البئر، وأنها طلبت منه الزواج ثم أعطته عنوانها وتليفونها ليعطيه لي فقط، فرحت جدًا فأخيرًا هناك خبر يقين عنها. . فقد سبق وأن سمعت العديد من الروايات المختلفة عنها، وكأنها شبح يطوف البلد، فتارة يقولون إنهم رأوها تتشبه بالرجال وتضاجع فتاة في أحد نوادي السهر المخصصة للشواذ في الزمالك وتارة أخرى قالوا إنها تسير صلعاء الرأس شبه عارية في شارع جامعة الدول العربية بالمهندسين، والأخيرة أنها تحجبت وزهدت الحياة وتزوجت وأنجبت وأنها تعيش حياتها راضية مرضية! ترى هل كل ما سمعته عنها حقيقي، وكيف سيكون شكلها الآن. . ؟

(٢)

مازالت لديها نفس الهيبة والشموخ القديم، ذلك الهيكل العظمي التي طالما سمعت أنه يتنقل بين شوارع المدينة في مشاهد

مختلفة على ألسنة الأصدقاء، هيكل الفتاة العذراء التي قرت أن تفض بكارتها بيدها في ميدان عام فأستاء ناس الميدان من المشهد لكنهم لم يساعدوها في مسح الدماء. . .

عندما رأيتها بعد غياب سبع سنين لم أشعر بملمس العظام البارزة ولا لزوجة الدماء على يدها أو وجهها. . حتى إني بصراحة لم أشك لحظة أنها جربت أن تنفذ رغبتها القديمة في اغتصاب رجل حقيقي، وتأكدت أن كل الحكايات المروية عنها في البلد كاذبة، فلحضنها نفس الدفء ولعينيها نفس اللمعة، لكني لاحظت أنها زائغة البصر قليلاً وتتحرك كثيراً وعروق يديها ووجهها مشدودة نتيجة حركات يدها المستمرة وانفعالات وجهها أثناء الحديث. . .

وفي طلقة واحدة حكت لي أحداث السبع سنين في سبع ثوان ثم توقفت فجأة وقالت لي: لم يتغير في ملامحك إلا لون الشعر فقط!

أخبرتها بسرعة تشبه سرعتها عن أحداث السبع سنين أيضًا، ونظراً لأنها تمتص الكلمات، لا تسمعها، فقد صرخت بشكل مفزع وقالت وهي تهزني من أكتافي:

- "بصي. . ممكن ببساطة نقف على أعلى مكان في العالم ونحس في لحظة إننا أعلى من أي حاجة في العالم. . لكن بعد شويه صغيرين ها نكتشف إنه فيه سما بعيدة بتطلّع لنا

لسانها لأنها أعلى.. لكن بنفس البساطة ممكن نركب مركبة فضائية ونوصل نشق السحاب ونشق لمعان النجوم ونقف نبص على العالم كله من فوق.. انت فاهمة.. ها.. فاهماني، وهي تهز رأسي هزات عنيفة وتشوح بيدها كثيراً كما سبق ولاحظت.. "

- "وبرضه نكتشف واحنا بنبص على العالم من السما إن فيه فوقينا حاجة تانية وقوة أكبر مش فاهمينها، لكن لغاية دلوقتي مخترعوش حاجة تطلعنا أعلى من كدا بالتحديد مفيش حاجة ممكن ترفعنا للقوة دي غير الشفافية أو الموت وفي اللحظة دي ها نعرف إد إيه احنا وصلنا لفوق أوي أوي... "!

لم أعلق على كلماتها المفاجئة لي والمناسبة لحالتي النفسية هذه الأيام، خاصة وأنا لم أحكي لها شيء بعد، لم أصدق أنني قابلت أحد نفوسي التي كانت تائهة لسنين دون أي معاناة أو بكاء أو سكر حتى الغثيان، وأن هذه النفس تختلج بالحزن الأسود على آخرين مثلي تمامًا وأخذت أتأمل عروقها النافرة بحب وأسمع منها دون أن أقاطعها، أسترجع صورها المختلفة التي سمعت بها مع كل حكاية تحكيها، الحكاية الوحيدة التي لم تفارقني الخاصة بمحاولة فض هذا الغشاء الملعون، رغم الحوادث التي ساهمت في الشروع لتنفيذ هذه الخطوة إلا أنها لم تنجح أبدًا في إتمام هذه

العملية . . كأنها تعاود محاولة فض هذا الشيء التي تشعر به يسد مسامها المتشوقة لنسمات الهواء وانتفاضات الجنون .

obeikandl.com

(١٤)

حقيقي... أمور بسيطة جدًا!

obeikandl.com

obeikandl.com

حقيقي... أمور بسيطة جدًا!

أمر بسيط (١)

الأمر بسيط... شباك صغير طويل في العمارات القديمة، كان يدخل من الشباك نور قوي... وكان على نفس الشباك الصغير دائمًا تقف الحمامات واليمامات تضع بيضها، وكان أجمل صباح لأي ساكن خلف هذه الشبابيك عندما يصحو على صوت اليمام وهو يزووم ويسبح بطريقته الخاصة، فيُقلق النائمين ويصحون ليفتحوا الشباك فتطير اليمامات الراقدة من مكانها تاركة البيض أمانة عند صاحب الشباك...

أمر بسيط (٢)

الأمر غاية في البساطة... كانت العجوز جامدة الوجه طيبة المعاملة التي كانت تخيف الأطفال بجديتها وقوة نظرات عينيها، وكانت كلما شعرت بالوحدة تلبس ملابس حداد زوجها التي لم تخلعها منذ مات قبل خمسة عشر عام، تنزل من الصباح تمر على البنات والأحفاد، وتقدم الخدمات أو تدعوهم جميعًا يوم الجمعة لتطبخ لهم ما تميزت به الأم والجدة والعجوز، أو تمر على الجيران الذي كانوا بحاجة لمساعدة في الرعاية بالأولاد وكانت لا تغلق بابها نهارًا أبدًا، فربما نادى عليها أحد وطلبها أو ربما مر عابر

سبيل يسأل عن شيء ودائمًا ما كانت تذكر الله كثيرًا وتدعو لكل الناس من قلبها، كان هناك عجوز صلبة يلتف حولها الأطفال رغم خوفهم منها. . . وباب مفتوح طول الوقت حتى إذا نادى عليها أحد الجيران ولم تجيب عرف أن العجوز لم تعد تجيب. .

أمر بسيط (٣)

الأمر أبسط مما نتخيل. . انتهى اليوم الدراسي في المدرسة وخرج البنت والولد، تقابلا في مكان بعيدًا عن العيون حتى لا يتكلم عنهما أحد، سارا في الشارع المظلم ينظران لبعضهما، ويتكلمان عن أحلام غدًا. . . تقف البنت بالضفيرتين وهي تحتضن كتبها بالجيب القصيرة، ولا ينظر لها أحد على أنها فاجرة. . فكانت الجيب فوق الركبة ترمز للبنت الصغيرة التلميذة. . . أما هو يقف ببنطلونه المكوي وقميصه الذي ينافس الشمس في زغلله العين. . . ينظر لها أكثر مما يتكلم. . .

نفس الولد والبنت، يهربان الآن من باب المدرسة، يخلعان كل ما يلبسان ويذهبان للديسكو، يرقصان حتى العاشرة دون أن ينظر كل منهما في عين الآخر؟

ثم يعودان للمنزل لتحضير الأكاذيب اليومية التي أصبحت بديلة للواجب المدرسي!

أمر بسيط (٤)

ذهب الطالب والطالبة الرومانسيين لحديقة الأورمان، يمسكان يد بعضهما بتوتر ورعشة واضحة لكل من يراهما، وكان الشجر كبيرًا وفروعه دائمًا ساقطة على الأرض فكانا ينكمشان في بعضهما ويدخلان تحت الفروع، يذوبا قليلاً في جنة العشق، ثم يخرجان بنفس ضجة اليد والرعشة الواضحة على كليهما... لا ينظر لهما أبدًا أحد في الحديقة، الآن كلها أشجار تنزل فروعها على الأرض، يتخرجان بوعد أبدى للزواج، ظلا يعيشان على هذا الوعد إلى أن يفترقا بلوعة وألم أو يتزوجا ويلعنا اليوم الذي تزوجا فيه بعد مرور السنين... نفس الولد والبنت الآن لا ينتهيان من هذا اليوم الجامعي ويذهبان سويا للبحث عن شقة تجمع زواجهم الوهمي حتى تنتهي الدراسة بلا وعود ولا قرارات... لكن سيبقى دائمًا ولد وبنت لا يخجلان من تشابك يدهما في الشارع!

أمر بسيط (٥)

للمحيط رتابته... أحسست الموت قادم.. والبحر أبن المحيط، وعلاقة بين المياه لا مثيل لها...

وهم شهود على الوجود والفناء ويعلمان أنه في وقت ما سيبتلع كل ما هو موجود وتبقى المياه حية لا تموت . . .

التنحي عن الوجود ولو للحظة واحدة بسيط جدًا . . . ؟

تلك القرارات المصيرية التي نأخذها في حياتنا، نفيق فجأة ونندم عليها بمنتهى البساطة؟

نعم . . . لكن الندم في هذا الوقت سيكون لأننا لم نأخذ القرارات قبل الموعد، ولأننا كنا نكذب أنفسنا بسبب الأمور التي فرضت نفسها علينا . .

ببساطة سينهمر الدمع وتدغدغ رأسك في الحائط وتنزل من السلالم الطويلة جدًا للشارع دون أن تخاف وتفتح أذرعك لكل الأحضان .

obeikandl.com

(١٥)

كان عندي طير

obeikandl.com

obeikandl.com

كان عندي طير

(١)

احتضنت شمس حبيبها حاتم وهي تودعه بعدما قالت له: "أنت أهم حد في حياتي" أغلقت الباب خلفه وهو يدب بخطواته على السلالم، دخلت شمس بابتسامتها المعلقة أثر إحساس الحب بعد أن ذهب حاتم وهي مرتمية على الكنبة المجاورة للباب بهيام تذكرت فجأة أنها نسيت أن تعطيه الهدية التي حافظت عليها لتعطيها له، خرجت مسرعة، لحقت به قبل أن يخرج من الباب فعلاً...

- ارجع أنا عايزاك ضروري، فيه حاجة مهمة عايزا أديهالك.. خد، بص كده، دي بيضة العصفورة بتاعتي أول ما باضتها قلت إن دي بتاعتك...
- بس دا كتير عليا قوي، أنا عارف أنت بتحبي عصافيرك وأولادهم أد إيه.
- أنا عارفة أنك الوحيد اللي ها تحافظ عليها وها تقدر قيمة الهدية وتراعيها.

فرج جداً، وأخذ البيضة وطار، فقد عرف قيمته عند حبيبته وعند العالم، فبالتأكيد هذا إلهام لها من عند الله لها بأن تكون هي اليد المرسلة له لتربت على كتفه الآن بالتحديد، وأن هذه البيضة هي بيضة الحظ السعيد الذي ينتظره!

ما هذا الذي أفكر فيها، يحدث حاتم نفسه وهو يسير بالسعادة المفاجأة التي دبت في وجدانه المثقل بهموم ساهمت في جمود ملامحه وتناحة عقله في الفترة الآخيرة. . .

يسير بخفة قافزاً على الأرض وهو يدندن بأغنية منير التي يعشقها " أنا عمر عيني ما دمعت إلا على، على كل شيء غالي، وانتي يا عمري ضحكة عمري وانتي اللي بقيالي " . . .

(٢)

يحلم حاتم بأحداث جميلة تمر عليه تفاؤلاً ببياض البيضة الصغيرة جداً وإحساس الجنين المتكوم داخلها فقد تخيل إنه بمجرد أن تبدأ البيضة بالتشقق سيلمح فتاة أحلامه شمس تأتي كطيف ملائكي من بعيد، تنظر له نظرة الرومانسية الذي يعشقها منها، يقترب منها يحتضنها ويحملها بلهفة ويلف ويدور بها وهي تغمض عينيها لتسمع بالنشوة التي عثرت عليها أخيراً، وبمجرد ظهور ريش الفرخ من بين القشرة ستسقط عليه ثروة من السماء ليذهب لدار النشر الخاصة التي تريد مبلغًا كبير لتنشر له قصصه، ويغدق بالهدايا على كل من يحبهم ويشتري الكثير من براويز الصور الخشبية القديمة ونظارة طبية غالية الثمن جداً. . . !

أما عندما يبدأ جناحي الفرخ في الخروج من قشرة البيضة تماماً

وبمجرد أن يحاول الفرخ الصغير وهو "يقاوح" فرد جناحيه ليطير يفاجئه رئيسه في العمل بمفاجأة سارة، وها هو العصفور يقوم بقدميه ويقع أكثر من مرة، فيجد حاتم نفسه في أرض خضراء واسعة داخل البيت الذي يتمناه وحوله كل من يحبهم، الأهل والأصدقاء والسماء والنيل والزرع يحتضنون البيت، وفي هذه اللحظة بالتحديد هبط طائر غريب من السماء، اقترب بسرعة من يده التي تحتضن البيضة بحرص فاختطف البيضة من يده بمنقاره الصغير المدبب واختفى، صرخ حاتم في الطير الذي لا يراه وهو ينظر في اتجاه السماء . . .

خد هنا، إيه، عايز إيه منها، حرام عليك ها تموتها . . ارجع أنت اختفيت فين . . صرخات حاتم في الهواء، لكنها لفتت نظر السائرين في طريقه، فاقترب أحدهم يسأله . . .

- أنت بتصرخ ليه كدا، في حاجة؟!
- أيوه الطير الغريب خطف مني البيضة
- بيضة، بيضة إيه يا راجل؟
- بيضة العصفورة بتاعت شمس اللي اديتهالي
- لا حول الله يا رب، بيضة وشمس، انت تعبان واللا إيه؟!

والرجل يضرب كفًا على كف مجيبًا عن تساؤلات الآخرين: الرجل المسكين الظاهر حدّ مضايقه بيقول إن فيه طير خطف منه بيضة العصفورة وطار.

اختفى الرجل واختفى كل الناس المتسائلين، ووقف هو بدمعه ورغرغات عينه المتتالية، بتشنج موجع : أنا آسف يا شمس بيضة العصفورة اتسرقت!

obeikandl.com

(١٦)

روح من لحم ودم

obeikandl.com

obeikandl.com

١- بعيدًا عن أمي...

أنقطع النور عن المكان.. إظلام تام.. ضوء قمر يشع من السماء، ما هذه الإضاءة التي تدفعنا دفعًا للاطمئنان من ظلمة الأرض العتمة؟!

لأول مرة أشعر أنني كبيرة، لا أخاف انقطاع الكهرباء المفاجئ في منتصف الليل ولا أخاف من ظلال الناس الظاهرة من الشبابيك الناتجة عن الشموع ولمبات الجاز.. ربما لأنني تأكدت أن الظلال لا تخيف، بل الشيء الوحيد الذي يمكن أن يخيفني الآن هو ظهور إنسان حقيقي في الظلمة!!

تراودني أفكاري المعتادة بقوة، فها أنا أقف في بلكونة الصالة، ألمح رؤوس الجيران وهي تتحرك بنشاط والشباب والمراهقين الذين تجمعوا حول بالوعة المجاري الموجودة في منتصف الشارع، خرج الجميع للحديث والتسلية حتى تعود الكهرباء، لقد جعلني سلوكهم هذا أشعر بالأمان مع انقطاع النور عني لأول مرة وأنا وحيدة مع ابنتي المتكومة في بطني...

امرأة وحيدة في منزل مقطوع الكهرباء مع جنين هو الوحيد الذي يشعر بي، يرافقني ويؤلمني الآن...

كانت تراودني دائمًا تلك الجملة، ولا أعرف كيف أكملها . .

" إذا أردت أن تتطهر . . . . . "

وأقف على هذا، ولماذا يشغلني التطهر أصلاً؟!

ربما كلما تذكرت أيام الأصدقاء المنسية منهم ونكرانهم لوجودي الآن في الصالة المظلمة وأنا في انتظار زوجي المسكون بأرواح العظماء، المفتون بالصدق والحب لي، وهو يدخل كعادته ليحكي لي قبل أن يدخل من الباب ما صار معه في الدنيا المسعورة عليه . . وربما لأن نفس الأصدقاء لم يحاولوا إشعال الشموع التي أحضروها لي وله وتركونا بلا أعواد ثقاب حتى ننير الطريق، فدائمًا أتذكر كم كنت عمياء القلب وأنا آخذ منهم الشموع ولم أكترث أبدًا لطلب الثقاب . . . !

فالتطهر دائمًا لا ينبغي أن يكون لغير طاهر، بل في الأغلب من يبحث عن الطهر طاهر بالأساس . . .

كانت نصائح البعض عندما اسأل عن أسلوب للتطهر، أن أرتدي الحجاب واذهب للحج أو قراءة القرآن والصلاة . . .

أما أمي فكانت الوحيدة التي تنصحني بالزواج والإنجاب ولم أفهم وقتها ما العلاقة بين التطهر والإنجاب؟!

سأخبر الجميع وأنا أقف في بلكونة الصالة بصوت عالٍ موجه للسماء اللامعة بنغبشات النجوم المنثورة بقوة . . .

"من أراد أن يتطهر لا يذهب للحج ولا يصلي ولا يتلو التراتيل . . بل يلد!

نعم عليه أن يحمل ويلد" ؟!

٢- حمـــل..

مع طلوع روح من روحك تموت أشياء غريبة، هل تعرفون ما هي هذه الأشياء كلها تقع في إناء واحد هو التطهر . . .

فتجدك تولد من جديد مع المولود الشفاف الذي نزل حالاً بدم طاهر من رحم وهن تمامًا . . من أول نبضة تشعرين بها تتكون تراتيل التوبة المرجوة ومع ارتفاع الصوت الصادر من تحت القلب مباشرة يعزف لحن الترنيمة الملائكية، وعندما يزداد الحجم وتنمو تفاصيل الجنين داخلك ويبدأ في "زق البطن" ورفس جدار جسمك كله ليجبرك على الشعور برغبته في الحياة خارج حدود البطن، فيبدأ برقص عنيف على موسيقى صنعها بنفسه حتى يصل لغايته "ويوجعك" جدًا إلى أن يطهرك من كل ذنوب الدنيا ويولدك معه . . .

وقتها لا تسألي كيف خرج منك مخلوق؟!

وقتها ستعرفين لماذا اختار الله امرأة كي يقربها منه ويضع جنته تحت قدميها . . .

فلا تسألوا عن سر تتبع النغبشات الناعمة في أحشاء امرأة . .

لن تجدوا إجابة أبدًا عن هذا السؤال. . لن تعرفوا إلا بعد أن تحملوا روحًا ودمًا ولحمًا داخل بطونكم. . .

فهذه الحركات البهلوانية التي تقوم بها قطعة مني في تجويف كنت أعتقده ملكي أنا فقط فإذا بهذا التجويف هو سكن أساسي لنطفة رائعة وضعها إحساس رباني داخلي بيني وبين زوج يذوب بعشقه داخلي فينفخ الله من روحه الطاهرة في هذه النطفة التي تتحول لبني آدم!

يسكن المخلوق العزيز مكانه الآن، يشعر بي. . في الحزن، الفرح، الطيران والسقوط، حتى هذه الدموع التي أذرفها كلما ضاق على العالم يشربها هو ليدفع بيده الصغيرة جدًا مكان "السرة" فتفز عني وأهب واقفة، فيعود لمكانه هادئًا مطمئنًا بعدما أخرجني من أحاسيسي المؤلمة، فهو يكره جدًا أن أشعر بالحزن، فلا أحزن أبدًا مادام كائني العزيز وروحي الثانية في أحشائي فيتبعني ولا يتركني بعيدة. . لست وحيدة!

٣-ولادة..

تنام صغيرتي نومًا هادئًا. . تداعبها الملائكة، تحوم حولها بإصرار على عدم إيقاظها من نومها، الملائكة تخبرها الآن أن أمها تموت فتئن أنينًا يشبه أنين قطة صغيرة ثم تبكي بكاءً حزينًا، وعندما يخبرونها أن أبيها يموت تبتسم، لكن الحقيقة أنهم

يخبرونها عن مستقبلها فتبكي لما فيه من سوء وتبتسم لما ينتظرها من فرح . . .

من المتفق عليه بيني وبين المعتقدات الموروثة أن الملائكة بالفعل تداعبها وتجالسها طول الوقت وأنا بعيدة عنها وعندما تنام تأتي لها لتؤنسها وتطمئنها حتى أعود لها عندما تصرخ قائلة لاااااا . . الملائكة الصغار بأجنحتهم ترقص لأعلى بموسيقى ناعمة أتيه من الجنة، فما أن يتركوها ويذهبون، تصرخ ألمًا حتى احتضنها فتأمن . . .

نسيت زحام الشوارع وعجني الدائم بين الناس . . نسيت ما هو الغضب . . نسيت كل الوجوه الأخرى التي كانت تملأ ذاكرتي بلا داع، حتى العمل ذلك الشيء الوحيد الذي يسعدني لم تعد له هذه الأهمية، فكل ما يشعرني الآن بأهميتي هي تلك ابتسامة لصغيرتي . . .

٤- بداية الأبدية

عودي سريعًا لمكانك المفضل على الأرض في الصالة . . أمام البابور الذي لا يشتعل إلا بحرارتك، عودي سريعًا لفراخك الوحيدة في البلكونة فلا يسمن ولا يغني لهم أي طعام لأنك غير موجودة . . .

أخيرًا ستلتئم جروحك، كم كنت قوية الإرادة، أنت من

ربيت أربعة قطط وحدك حتى صرنا سيدتين ورجلين يحسدنا الناس على صحتنا وفوران دمائنا ومرحنا وطيبتنا، كما يحسدوننا على شفافية نادرًا ما تتجمع في عائلة واحدة.. ذلك لأنك الوحيدة في هذا الزمان التي تسامح، تسامح حتى تفر الدمعة من عينيك، وإذا كانت العذراء مقدسة لأنها لم تعاشر رجلاً، فأنت مقدسة لأنك لم تعرفي أي شخص في هذا الكون غير زوجك وأولادك، خرجت من آدم، صنعك الله له كي تتحملي ما لا يستطيع تحمله وكان أول اختبار لك وله في الإرادة تلك الشجرة والتفاحة الشهيرة.. أقنعته بالأخذ.. تأثرت بالشيطان.. نعم.. لم تقبل أمي العيش في الجنة بلا هدف، فالمرأة لا تستطيع أبدًا أن تعيش بلا هدف، تأكل وتشرب وتلهو وتنام...

عمومًا.. لا داعي أبدًا للحزن كلما نظرت لوجهك في المرأة محاولة حفر ملامحك الأخيرة قبل إجراء تلك العملية، أيضًا لا داعي لأن تطيل النظر في أولادك وأحفادك..!

بهدوء صعدت روحك المريمية دون أن يشعر أيّ منا بما رأيته في برزخك المزين لاستقبالك.. صعودًا جميلاً بلا ضجيج يقلق من سبقوك ولا من سيلحقك.. كما عشت هادئة.. مت هادئة بعد أن رمقتني بنظرة باهتة بلا روح، لم أظن ساعتها أنها النظرة الأخيرة...

كان الاستعداد طويلاً لنهاية الرحلة الدنيوية...

كم من بروفات للملابس قمت بها قبل أن ترتدي فستانك

الأبيض الأخير، وكم من أشخاص صادقتهم وجيران جاملتهم، ببرونزية ملامحك، وقصرت قامتك، امتلأت بطنك بتشريحات المذنبين، لا أعتقد أن الأمومة لها معنى آخر غير أمومة العذراء وأنت . . .

ذهبت العذراء . . هكذا دون أن تعلم للدنيا لونًا آخر غير الأبيض ولا تعرف بشرًا غيرنا نحن الأربعة الضالين في الدنيا . . تجلس وحيدة بانتظار عودتنا من التيه المستمر، وما إن نعود نجلس حولها ملتفين في دائرة محكمة . . تطير بقسوة الحكيم العالم ببواطن الأمور . . .

- أني راحلة . . !

نظرت لي نظرة بها غيم ممطر ورددتها . .

- سأرحل إلى بيتي وأهلي . . أنا هنا ضيفة ثقيلة، فمكاني الذي ينتظرني ليس به أسنان أو لسان ولا تسكنه العقارب والثعابين، بل ساكنوه من الأرواح المتعبة من الشقاء والألم الذين عانوه في دنياهم . . سيرحمني . . فزغردي لي واضحكي كلما تذكرتني . . .

أغمضت عينيها تاركه لنا الدنيا بما فيها متحدية أن نستطيع الاستمتاع بأي متعة فيها . . .

نامت . . نامت . . نامت إحدى آيات الله على الأرض . .

نامت دون صوت فيه همهمة أو أهة. . نامت وتركتنا بين أشجار الغابة الموحشة يأكلوننا ونأكلهم، نامت بعد أن عرفت أن الأرواح الطيبة تكون حول الأم دائمًا تنقذ لها أبنائها من المرض، عرفت ما معنى أن تكون الجنة تحت قدميها؟!

obeikandl.com

(١٧)

عيون أتعبها الضوء

obeikandl.com

obeikandl.com

عيون أتعبها الضوء

(١)

تجلس في بطن شجرة جافة تمسك بيدها لعبة غريبة، قطة صغيرة تداعب قدمها تدوس عليها حتى تطلع روحها، يفزع الناس المارون بجوارها، زاعقين فيها ماذا تفعلين؟ إنها قطة صغيرة مسكينة فتنظر لهم وتضحك بسخرية شريرة تخبرهم.. أن القطة تحب من يقتلها..!

(٢)

يقف أمامها بطفولته المصطنعة، أنت تلعبين "جيمات" طول الوقت، ضوء هذا الجهاز سيفسد عينك السوداء الجميلة، ترفع عيناها عن لعبتها بتأن وتخبره ببرود: لو أغمضت عينك لن ترى غير حقيقة واحدة، هي انت، ألا تصدق، هيا جرب معي، فلتغمض عينيك ـ ماذا ترى؟

- إنني أرى أشياء غيري، هي تشبه الأحلام، لا إنها خيالات هُلامية تشبه مخلوقات فضائية أو ربما عفاريت أو جنًا يعبث بعقلي النشط.

أما هي فتصر على إغماض عينيها، يحاول إقناعها..

- افتحي عينيك فلا وجود لك أيضًا وأنت تغمضينها وإن كنت مصرة فعليك الحفاظ على هذا الوجود وأنت تقومين بحركاتك المعتادة على الشجرة أو داخلها، حافظي على لعبتك التي تذهب ضوء عينيك حتى تتحقق أمنيتك بإغماض عينيك طول العمر!

أنت قاس جدًا . . . !

هما الاثنان قاسيان يرفضان الاعتراف بانجذابهم الكارثة . . .

(٣)

تداعبه بطريقة يعرفها جيدًا، وهو يدرك ما تنوي فعله، فهي تفتح أزرار البلوزة مرة وأخرى ترتدي تنورة، الآن تهمس في أذنه بطريقة مثيرة، فيتظاهر هو أنه لا يفهم من هذا إلا أنه مزاح مثير، لكنها ماهرة كما اتفق في اللعب، أما في إقناعه بالحب دون لعب، فهذا جديد، كيف تقربه إليها إذا كان يفهم ما تفعله مجرد إغواء . . الغبي . . . !

يتظاهران بالوعي والحفاظ على الحقائق المحفوظة . . كل منهما يردد للآخر ما حفظه سواء من الدنيا أو من الناس أو من اللعب . . كل منهما له شخصيته المستقلة المتفردة عن غيره، يشبهان بعضهما تمامًا حتى في هذه الحبات الصغيرة على

الوجنتين . . . !

هو يكذب، وهي أيضًا، هي تصدق كذبها أما هو فلا يقبل أن يعرف أنه يكذب . . . !

خرجت من حضن الشجرة الجافة، ترافق أصدقاءهما مضطرة وهي مشغولة بذاتها اللعبية تبحث المسكينة عن منافس لها في لعبتها ذات الضوء المؤذي للعين . . فلا تجد أقوى منها في اللعب . . تحاول أن تهزم نفسها، تدخل في "فورات" حتى تصل للهزيمة المتوقعة . . .

أعلن لهم أحد أصدقائهما ذات مرة أن هناك أزمة حقيقية في الرجولة . . فثارت دفاعًا عن حقوق الرجل، وقفت على رأسها رافعة قدمها لوجه السماء لتوجه الاعتراض المطلوب تمامًا في هذه اللحظة . . . ! !

- لا تتكلم بهذه الطريقة التقليدية عن الرجولة، فالزمن اختلف والحياة تغيرت، فلا تردد كلامًا لا معنى له؟ !

(٤)

اختطفت صديقها من بين الجميع، أقنعته أن يقوم بعزومتها على الغداء، ورغم أنه كريم بحسابات تؤيدها هي دائمًا كي تردها له في الوقت المناسب، وافق على أن يعزمها، لكن شرطه

عليها ألا تحاول إغواءه بأن يأكل بنفس طريقتها . . وافقت على شرطه وانطلقا للمطعم .

نظر لوجهها وهي تأكل بنهم ونظرة الدهشة الجامدة وقال لها : أنت تأكلين بشبق ! أهذه شهوتك المرجوة؟

لم تجب عن سؤاله كعادتها وهزت رأسها بلا مبالاة ، وعادت للأكل بنهم . . حاولت في البداية أن تأكل بنعومة ورقة لكنها لم تستطع مقاومة شبقها للأكل وأخذت تأكل كأنها تضاجع الطعام قطعة قطعة غير منتبهة لنظرات الناس لها وهي تتقزز منها . . .

هم يرونها فتاة الألعاب البهلوانية التي تجيد السير على الحبال والشقلبة وفنون السيرك ، ويرى أحدهم أنها تتلوى كالأفعى تمامًا . . في الحقيقة هم لا يفهمونها ، فهي لم تكن يومًا بالأفعى أو بالبهلوانة ، إنما هي طفلة تحتاج لحضن ذئب يحميها من أشباه الرجال المحاطة بهم !

تتوهم وجود منيتها في ذئبها المختار ، تنسى أن الذئاب يتركونها تأخذ فرصتها في الدفاع والظهور ويخدعونها بإعطائها ثقة في سمها ، ثم ينقضوا عليها بشراسة ويأكلونها . . .

(٥)

الفتى الهادئ ذو الأخلاق الرفيعة والآخر الواقف على فروع شجرتها الجافة القابلة للكسر يتعاطفان مع الفتاة ، ويربتان عليها

بحنان، فتشعر أنها فتاة أحلامهم، تتخلى قليلاً عن "الجيمات" لكنها لا تتخلى عن طريقتها المقززة في الأكل، ولا عن دهائها المتفرد "المفضوح" الذي سيحميها من شرهم إذا لزم الأمر . . .

ورغم ذلك لا تتردد في أن تقف عارية في آخر الأمر وسط صالة المطعم لتخبر الجميع أنها لا تقبل إلا يحترمها أحد وهي تأكل . . .

رغم أن ليس لديها طاقة صبر على أي شيء . . فهي تمل من القراءة الطويلة والكتابة الطويلة والبشر الأغبياء، لكنها لا تمل من اللعب أبدًا . . .

فكل ما يهمها الآن أن تفوز في المباراة الوحيدة التي تمنت الفوز فيها . . وستفوز . . .

(٦)

سيتزوجان. ليست مفاجأة، فالفتى ذو الأخلاق الرفيعة ممزق، وهي بارعة في لصق الأشياء الممزقة، والبني آدميين المقسومين . . .

obeikandl.com

(١٨)

مع سبق إصرار

obeikandl.com

obeikandl.com

مع سبق إصرار

قبل تنفيذ ما اعتزمت بعد تفكير ثلاث سنوات، وقفت أمام المرآة، رسمت حاجبيها وكحلت عينيها ثم فردت شعرها الأسود الطويل الذي كاد يصل لأردافها، وارتدت فستانا عاري الكتفين والصدر يحدد تفاصيلها، ثم جلست تنظر لملامحها وتبكي وهي تخبر المرآة عما تفعله فيها الأيام.. كانت حرة تتنقل بين هذا المسرح وذاك تعيش أدوارًا وتسخر من أخرى.. أصبحت الوحيدة في مسرحيتها المؤلمة التي أجبرها أهلها على تمثيلها.. المسرح الذي لا يمل من العروض المتتالية خاصة العروض التراجيدية، أو عروض الضحك الأسود، قامت بأداء دورها على أكمل وجه وتصدرت صورها كل الجنازات الإعلامية، فقد أصبح الجميع يتحدث بألم عن ذكرى ممثلة جميلة تعيش الآن في دور لا يليق لها أبدًا.. لم يصفق أحد لها رغم أن المسرح يمتلئ عن آخره بالمتفرجين سواء من الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء أو حتى السائرين بلا هدف في الشارع.. لم يعيروا لأدائها أي اهتمام، فما كان منها إلا أنها ثارت ثورة مؤذية لجمالها بعد أن تأملته لأخر مرة في المرآة وهي متأنقة جدًا، جردت شعرها بموسى وارتدت ملابس الدور وخرجت لأمها مبتسمة تسألها عن أسعار الطماطم وغلاء السمك وكرهها للفراخ البيضاء التي ينعدم منها الخير...!!

أصبحت تصدر اكتئاباً وتستورد لا مبالاة، لكي تعيش لابد أن لا تبالي بأي شيء أيًا كان، فالمبالاة تشعرها بدغدغة في جسدها والمياه المثلجة تسري في العروق بلادًا من الاكتئاب والدم المتجمد وذبحات القلب!!

يلكزها بعض الزائرين لعرضها بعشرة جنيهات في الصميم كي تشتري سجائرها فهي لا تستطيع الاستمرار بأداء الدور دون دخان...

الملعون حبيبها باح بسر العشرة جنيهات بلا فصال!!

قالت له عمته إنها جميلة ومؤدبة ولم يمسها بشر فقال إنه لا يحبها لأنه لا يحب ولا يؤمن بحب العشرة، وشيلني وأشيلك، وقدّم السبت تلاقي الحد، والقفة أم ودنين يشيلوها اثنين، فهو يحلم بحب الروح ليكون مع شريكته واحدًا صحيحًا فبذلك تستقيم الحياة ولا يوجد شيء خطأ!!

اغتصبت جسده لكنها لم تستطع اغتصاب الحب!

الماء ينساب على الجسد ليطهره من الأوجاع، وهي غير كل الناس فالماء يفقدها الأمل إذا تكاثر فوق جسدها فهي تكرهه إلى أن تزيله بالمنشفة فكأنها تخلق من جديد الماء هو سر الحياة وهو أيضًا سر تعاستها، فمتى تحب الماء؟!!

حبسها أخوها في البيت الصغير المبني بالطوب الأحمر والذي لا

يحميه إلا أبواب حديد كبيرة ولا يوجد به سوى شباك واحد صغير نسي الغبي أن يضع له القضبان. . .

تكّومت على نفسها في ركن عشة الفراخ الموجودة في البيت والتي تقوم أمها كلما ذهبت هناك بإخراجهم إلى الشارع لينفكوا شويه كما تقول لأحسن يموتوا. . .

تجلس في كومتها تحسد الفراخ على الحرية الممنوحة لهم في ساعات المغرب، فهي حتى لا تستطيع أن تطل من الشباك الصغير الذين يغطونه بقطعة خشب على مقاسه تمامًا. . .

تخرج وتغلق الباب وهي تسب في العفاريت والشياطين الذين ركبوا ابنتها وجعلوها تهوى الفن وسنينه السودا. . يا بنتي ربنا يهديكي ويبعد عنك العفريت ابن الكلب، بس لو أعرف عايز منك إيه وأنا أريحه، تنظر لها وهي ترتعد من الخوف لأنها ستهم بالخروج وغلق السجن عليها حالاً في ركنها المرعب، تراقب الفئران وهي تقرض أوراق كتب ملقاة كمهملات والصراصير التي تسعى بين بقايا أكلها، واتتها فكرة عبقرية لتنقذ نفسها. . منذ توفي والدها بعد صدمته فيها لأنها تزوجت بغير رغبته، أحضر الأهل ملابسه ورموا بها في هذا البيت فهو مخزن المهملات القديمة كلها!

أحضرت كل ملابسه وقامت بلضمهم معًا، وقامت بتكسير اللوح الخشبي الموجود على الشباك الصغير بقوة الغضب والخوف

الذي تعيشه، ربطت الحبل المصنوع من ملابس أبوها ونزلت من الدور الثاني بهذا الحبل الذي انفكت رابطاته وهي على وشك الوصول للأرض، وأصيبت بكسر بسيط في ساقيها، لكنها لم تشعر بألم الكسر قدر سعادتها بالهروب من السجن، سارت بالكسر تقع وتقوم وتقوم وتقع إلى أن وصلت للمسرح الحقيقي التي حلمت بالعودة له كل الليالي السابقة، استقبلها بعض الزملاء القدامى، الذين لم يقدروا قيمة ما عانته للعودة بينهم، لم يعطوها الاهتمام اللازم!

ظلت تبحث في الشوارع وبين الأصدقاء عن سرير، لم تجد أي سرير، لكن هناك من وقف يحدثها عن الفردوس الحقيقي الذي يجب أن تذهب إليه معه:

الفردوس المنشود على الأرض أولاً.. لو ارتبطنا ببعض يبقى ارتباط فراديس.. فردوسك عامل إزاي.. تأخذ فردوسي وتديني فردوسك!!

مللنا من الطرح والضرب فمتى الجمع!!

دار بها دائرة كبيرة فسقطت حبًا! كان صلبًا كالصخر بابتسامتها لأن المرض وقتها لم يلن لأحد، عرف الأهل مكانها، اتفقوا معه وتحايلاً عليها بعد أن وضعا لها كمية كبيرة من المنوم في كوب الشاي الذي تشربه بملعقتين ونصف من السكر.. لم تدر إلا وهي على سريرها الخشب البني الذي تعرفت على رائحته قبل أن تفتح عينيها!

لم تخطط من جديد للهرب، لكنها قررت هذه المرة أن تؤدي الدور الذين يدفعونها لأدائه فوقفت لهم في وسط الصالة الفارغة من أي أثاث لأنهم تخلصوا منه فالعفاريت الملعونة قامت بحرقه أكثر من مرة، فتخلصوا منه.. قامت بدور أمين شرطة في ميدان التحرير وأعطت لنفسها صلاحية تنظيم الشارع...

المتجه يمنيًا يلزم الجانب الأيسر!

انتبه ماذا أنت.. انتبه كيف أنت.. انتبه من أين أنت؟!!

الأملاك هي التي تورث.. الوريث الوحيد لأعمالك هو أنت فانتبه!

في سواقة العربات تجد لافتات "هدئ السرعة".. "منحنى خطر" النقل يلزم الجانب الأيسر فلماذا لا تلزم الإشارات الأخرى "قل خيرًا أو لتصمت".. "حب لأخيك ما تحبه لنفسك".. "لنصل بسلام" كما في سواقة العربات لنصل للنجاة..!!

أول من يعلم أنك تكذب هو أنت!!

إلى الممر.. هناك ممر واحد لا غير وعلى الجميع اجتيازه إن عرفوا أولاً أن هناك ممرًا.. هناك المعطيات.. المطلوب.. البرهان.. فالمعطيات هي كل ما أراه أو أستشعر بوجوده دون أن أراه.. والمطلوب من وراء كل هذا.. والبرهان هو ما تبرهن به على وجود الآخر من خلالك وليس من خلال غيرك...

كيف أريك ما في الصندوق وأنت أعمى؟!!

سينما ـ مسرح ـ أغاني . . بنعوم في مية البطيخ!!

أتقنت بالطبع الوقوف في الميدان، لكن لم تستمع لها أي سيارة من السيارات المارة

بل وصل الأمر أن وقفت وسط الصالة تصرخ من أثر السيارة التي صدمتها . . . !

قالوا إن الخروع يشفي الأمراض النفسية . . إذا أخذت الخروع مع بعض الماء ورفعتهما على النار ثم صببته في كوب وشربته فهو يعالج نفسيًا . . أخذت برطمان الخروع مع كوب وهذه هي الأشياء الوحيدة التي كانت معها في مستشفى الأمراض العقلية!!

(٣)

قاموا بإرسالها عندما فاجأتهم وهي على الباب ترتدي بنطلون وبلوزه وترغب في الخروج، فلم يفعلوا أي شيء سوى تكتيفها بالحبال داخل ملاءة بيضاء رائحتها تشبه رائحة بخور المتسولين أمام المساجد . . ولم يكلف الأب أو الأخ نفسهم حق السؤال عليها الاطمئنان عليها وهي تتعارك مع المجانين لأنهم يأخذون سجائرها ويضربونها لأنها تجلس صامتة تتفرج عليهم، لم يتكلفوا معاناة سؤال الأطباء الذين قاموا بكهربتها كلما فتحت

فمها وقالت مسـ..ر..ح، فقبل استكمال الكلمة تأتي الممرضات على عجل ويسحبونها إلى غرفة التعذيب الكهربائي ليعالجونها من الهوس الغريب الذي تعاني منه...

قال الأطباء إنها هكذا أصبحت سليمة!

لكن منذ أخذوها من المستشفى وهي لا تتكلم ولا تصرخ ولا تبكي ولا تذكر أي شيء مما تعلمته لكن الشيء الوحيد الذي تذكرته هو آخر فنجان قرأته لها صديقتها ورحلت من حياتها شفافة كالبلور، فقد روت لها كل ما مرت به وهي الآن في انتظار الجزء الثاني من الفنجان، تتلهف لقوى خارقة تحرك حبال العرائس لمكانها المناسب، فمنذ تشابكت الخيوط لم تعرف مكانها!

oujeykandl.com

obeikandl.com

(١٩)

ضفيرة بنية عريضة

obeikandl.com

obeikandl.com

ضفيرة بنية عريضة

(١)

تجري السيدة البيضاء الجميلة التي تبدو أصغر من سنها بعشر سنوات على نصف صرخة بصوت متألم صادرة من المطبخ، فابنتها ذات الأربعة عشر التي تشبه أمها على أجمل تقوم "بتحمير" كمية كبيرة من البطاطس للعشاء، لسعت يدها الصغيرة.

- " فيه إيه اللي حصل" .
- مفيش حاجة يا ماما روحي انت اقعدي مع ضيوفك دي حاجة بسيطة، أعمل إية تاني مع الَبطاطس؟
- متعمليش حاجة وتعالي اقعدي مع عمو
- حاضر يا ماما

تحضر العشاء وينتهي الجميع من الأكل، ماما وأنا وأخواتي الثلاثة، البنت والولدين وعمو وأخت عمو!

"راحت لغسيل المواعين وعملت نفسي مش واخده بالي من النظرات والحركات اللي بين ماما وعمو" .

(٢)

بعد انتهائي من أعمالي طول النهار من مذاكرة وشغل البيت ومكالمة صديقتي ومراعاة دبدوبي الجميل وتنظيف ملابسه ووضعه بين أخوته العرائس الفرو الناعمة أذهب لأقف في البلكون!

"الشبابيك المنورة من حولي تثير إحساسًا ما داخلي بالغموض، ويعرف الليل جيدًا كيف يكون حزين"! هل تتخيل أمي أن بعد وصولي لسن الثانية والعشرين "أنني أتعجب للنجوم التي تخطئ الأماكن الهامة لوجودها، لقد قالت لي ذات يوم.. إن البشر يهتدون بالنجوم".

إذًا.. كيف أهتدي بهم وهم يخطئون الطريق؟!

أقوم بتضفير شعري البني الطويل، أتأمل الرؤوس التي يتخايل ظلها من خلف الستائر في الشبابيك البعيدة.. تتجاهل هي أني أفهم ما يعنيه تقارب رأسين بالتحديد في الضوء الخافت خلف الستائر!!

ظهرت في السماء طائرة تبدو كنجمة متحركة.. أناديها...

- أترين النجمة تطير؟!

- لا يا ابنتي إنها ليست نجمة، بل طائرة، أغلقي الشباك

واذهبي للنوم، كفاك سهراً.

إنها لا تشك أنني أتعمد السهر، بل أتعمد، وليس لدي مشكلة أبداً في أن يتعانقا أمامي، فإن عمو الصغير الوسيم قريب منا تماماً أنا وأخواتي، ونشعر أثناء وجوده بفرحة، لكن لا يمكن أن يصبح مثل أبي، أمي لا تفهم هذا أبداً، نحن صغار لا نفهم!

هذا فقط ما تراه!

في الحقيقة لا أقوى على غلق الشباك الواسع أمامي.. أحلم بالأجنحة البيضاء التي ستأخذني وسط النجوم لأهتدي بها...

تهت في السماء.. اكتشفت أن الضوء المتلألئ في السماء هو انعكاس لأنوار المصابيح الصناعية على الطرق البعيدة.. مفاجأة!!

(٣)

لم أندهش، فأثناء وقفتي في الشباك كانت تختلط عيني بين هذا الضوء وذاك.. لكن المشكلة الآن كيف سأعود لشرفتي.. هل أستطيع.. ربما.. لنرى.. ماذا ستفعل ابنة الرابعة عشر بأجنحتها البيضاء..؟!!

لا تغضبي يا أمي لقد ارتديت أجنحتك وأعجبني الطيران، لا تصفعيني بيدك الناعمة جداً لا أستحق.. اذهبي لتقفي بدلاً مني

في الشرفة.. لتري الظلين ثم عودي لي إن استطعت.. لا تتراجعي أبدًا إن طاوعتك نفسك على إلقاء النار المبعثرة في يدك على وجهي!

إن مقاومة ضغط الهواء صعبة.. اذهبي لتعرفي حقيقة الهواء والضوء الصغير الذي يتلألأ في عيني.. هل تعتقدي أنك الوحيدة التي ترينه، حاولي أن تري الضوء بعيني لا بعينك...

وكزرقاء اليمامة ألمح أشجارك آتية من بعيد، لكن كل حاجياتي لا تصدق إنها قادمة ولا حتى أنت تصدقين، لقد رأيت أشجارك قادمة، لا تقلقي، لن أخبر أحدًا أن أشجارك ستقتلني.. وستغلق شرفتي وتنفث الدخان في الهواء وتعتم السماء والنجوم.. لا تقلقي عليَّ أبدًا.. لكن لا تفكري أبدًا في نزع أجنحتي البيضاء، أو قص شعري أو حتى لا تحذري الرؤوس المتعانقة في الشرفات المقابلة.. لأنه ببساطة لم يكن هناك ضوء خافت ولا حتى ليل به نجوم.. فلا تفعلي...

إني أنتظر عمرًا قادمًا من إحدى هذه الشرفات..!!

قفي مكانك ولا تنشغلي بي..!

(٢٠)

ماذا بعد يا فاطمة؟

obeikandl.com

obeikandl.com

أدهن وجهي بكريم وأنا مغمضة العين مستلقية على ظهري أعجبني الملمس الخاص لأصابعي على وجهي بنعومة وهدووووء . . .

بدأت أشعر أن هذه اليد التي على وجهي ليست لي وإنما يد آخر . . .

في البداية أعجبني الإحساس، لكن بعد قليل أرعبني!

نعم أرعبني!

انتفضت من استلقائي المختار بعد صراع . . .

أسببه خوف من يدي؟! لكن ما علينا!

سأخرج بتنهيدة طويلة من هذا الإحساس . . .

سأنام . . اذهبا جميعكم يا أصدقائي من الغرفة، أغلقن على باب السماء المفتوح هذا!!

تركوني فعلاً للنوم . . .

يااااه . . آه . . بسم الله . . .

دائمًا أفزع على "أرصه" في ذراعي أو على أنفاس لاهثة في الغرفة، بالتحديد وقت صلاة الفجر، ودائمًا ما أفهم المقصود منهم؟

فلا أصدقائي رحلوا ولا باب السماء مغلق!!

إنه موعدي الآن مع صديقتي لنذهب سويًا لشراء احتياجات زواجها من أقمشة، وقفنا نختار بتركيز بين الألوان الموجودة والتي كانت باهتة تمامًا!

سمعنا ضجيج وأصوات الباعة والمارة: "أدوها حاجة تلبسها يا جماعة"، "حد يعمل حاجة".

لم نهتم كثيرًا أنا وصديقتي، لقد أصبح العادي أن تسمع ولا تهتم.. تحدثني صديقتي وهي تهز رأسها بآلية "ناس فاضية صحيح والله" منشغلة باختيار ما تريده.. زاد الأمر حدة بمرور أتوبيس نقل عام وسيارات سرفيس كثيرة تقف "للفرجة" مما جعلنا نلتفت لهذا الهرج والمرج في الشارع...

اقتربنا بفضول، لم نكن نتوقع ما رأيناه رغم أننا لم ندهش!

انتابنا إحساس من الشفقة الممزوجة برغبة في الانتقام لها، ربما يصل القليلون ممن شاهدوا نفس المشهد معنا.

سيدة في الخامسة والثلاثين تقريبًا، شعر أسود طويل، عينان غائرتان ضيقتان.. جسد نحيف عن عمد.. يدان ناعمتان تمتدان لموسى حلاقة، تشرط الوجه والجسد بعصبية مفاجئة، لها قامة متناسقة، تقف بنصف جسدها العلوي عاريًا، ثدياها يتدليان في ترهل، بدأ الناس في الملاحظة والالتفات لما تفعله هذه السيدة المجنونة، وقفوا "للفرجة" تزعق فيهم بصمت، كلمات غير

مفهومة تخرج من عينيها التي تعكس انفعالاتها بلا صياح، فالصوت بالنسبة لها ليس وسيلة للتفاهم، حريصة على الموسى الصغير في يدها وتهددهم بأنها ستقطع نفسها إن اقترب أحدهم، وأخذت تردد كلمات من نوعية: "امشي.. عايز إيه.. لا.. لا.. بقولك امشي.. عايز إيه.. يالا امشي" وتعلو صرخاتها المحترقة كلما وجدت متفرجًا جديدًا، وكلما اقترب منها أحد في محاولة لسترها بقميص تردد نفس الكلمات بنفس التقطيع.

كل الناس وقفوا "للفرجة" إلا قليلون اقتربوا لسترها، هم رجال بالطبع، فهذا أصعب من أن تحتمله أنثى!!

أنا وصديقتي كالآخرين، شاهدناها ملتصقتين بمكاننا...

موجوعة تلك السيدة، فقد حاولت لوهلة إخفاء ثدييها بطريقة طفولية، ثم أطلقت يدها بسرعة متعمدة تعريتهما من جديد!

فلتدعوا تلك الخيوط الوهمية التي تربطها بالسماء.. دعوا أجنحتها تنطلق في ساحتها العادية، أيها الجان الشقي ماذا يضيرك لو ابتعدت بعبثك عنها، فلتدعها تدرك معنى الأرض قليلاً، لم تراوغها بين الحين والحين وتنتقل بها من هذه النجمة إلى تلك، فلتهدأ فلن تمسك بك...

فلترحموها من أيقوناتكم المعلقة في هواء أسود لا يقيم علاقات حميمة مع الصدور المختنقة...

تلبسني روح السيدة، وأرعبتني هذه القدرة المسرحية، فعيناها

تحدق بثبات بتنهيدة محرقة في كل العيون بلا تمييز، حتى إن كل واقف يعتقد أنها توجه تهمة ما له دون غيره.. يا لها من بارعة...

لن يرى أحد عريًا مثيرًا كهذا؟

كم من فتاة تسير بصدر مفتوح ومؤخرة متحركة، وكم من قناة لأفلام البرنو معروضة في الهواء الطلق.. الكلاب حتى أصبحت تثار من مشاهد الفتيات في الشارع! لكن هذه هي المرة الوحيدة والأخيرة التي سأرى فيها امرأة عارية لا تثير الكلاب، إنما تثير إحساسًا مختلفًا داخل كل منا، خارج حدود "مصمصة الشفايف، ويا عيني، دي مجنونة ومسافرة خالص"...

لا.. طول شعرها وتنورتها الطويلة جدًا.. لا يقنعونك أبدًا بأن هذا الجمال والعرض المسرحي المقام بحرية في الشارع جنان في جنان!!

أخذت تخبط رأسها في الحائط بعنف شديد، تمرمغ جسدها على الأرض كأنها كرة ملقاة من قدم لاعب قوي...

إنها تستطيع أن تدخن كل شيء بما في ذلك دخان جروحها المنتشر من حولها بلا رحمة لصدرها الموجوع، ذهب كل في طريق بعدما رفضت كل القمصان و"التي شيرتات" المقدمة لسترها وهي تسب وتلعن كل من يقترب من هذا العرض ـ اتخذت قراراً

بالرحيل وصعدت أول ناقلة، ترثيها العيون الكثيرة التي نظرت إليها "تعجب وتأفف"!!

تراجعت في القرار، نزلت.. عادت للخلف!

فوجدت سببًا للتردد.. عمر مضى واقفًا بانتظارها!

بلا قصد، حدثت سنينها الواقفة تنتظر ناقلة هي الأخرى بعصبية:

تركناها أنا وصديقتي التي شاركتني نفس الأحاسيس المختلطة من الحزن والسخط والكبرياء لها ومحاولتنا تعزيز موقفها الصارم جدًا من الدنيا.

تاه الحدث قليلاً بين أحداث اليوم العادية دون أن يفارقني إحساس ثقيل بالوجع!

عدت لدهان وجهي بالكريم وأنا أدوره على وجهي وأفزع من إحساسي بيدي، أخرجني هذه المرة صوت أمي المفزوع.

- "تعالي تفرجي في واحد في الملعب نزل يجري عريان في الإستاد".

- ليه يا ماما.

- الفريق بتاعه كسب.. شفتي بيحبوا فرقهم إزاي أولاد المجنونة.. راسم على جسمه ونازل عريان المفضوح.

لم أبد اندهاشًا، عدت صامتة لمكاني، أغلق الباب ونور الغرفة، في انتظار أصدقائي الليليين وباب السماء المفتوح و"الأرصات المجهولة" . . . !

obeikandl.com

(٢١)

هنا سبب واحد للحياة

obeikandl.com

obeikandl.com

هنا سبب واحد للحياة

(١)

أخذت معها عروستي الصغيرة. . . !

ستتخيلها أنا وستتعامل معها برقة كما تفعل معي بمبالغة ستقوم بتقبيلها قبل أي إجراء وتملس على جسدها الصغير جداً برفق ثم تأخذها بحنان وتخلع عنها فستانها القصير تغسله أولاً ثم تقوم "بنقع" عروستي في ماء وصابون كي تصير نظيفة تمامًا!!

عندما أخذتها، أخبرتني أنها تريد أن تسعدني. . . من تخرجني من الأحاسيس الموجعة بها وهي بعيدة عني، تؤمن بعشق الأرواح، من تعرف قيمة وجودي في الكون كله. . هي فقط.

(٢)

مازلت بمكاني بعد ذهابها، لا مشكلة لي مع الوحدة، فباستطاعتي أن أعيش مع خيالي الذي يساهم في جنوني يوم بعد يوم، لكن هذه المرة لم يشغلني خيالي، فقد اقتحمني المحيطون بي، وأجبروني على متابعتهم، خاصة هذا الرجل الذي يتنهد بآهة ويصرخ بألم مصطنع ليجمع الناس حوله غير مصدق أن

شجرته يقترب طولها من طوله، يبتهل بحرقة أن تموت هذه الشجرة التي ربما ستظلل عليه، فهو لن يعترف أن شجرة صغيرة كانت مجرد بذرة، وهو راعي فروعها الوحيد والمتحكم في طولها، عاندته واستطالت رغم أنفه، بل من جرأتها المتبجحة ستصل للفضاء، لن يدعها تمر هكذا للفضاء بسلام!

يدعو الله أن تتقصف فروع هذه الشجرة التي تمردت عليه وترغب في المرور عبر سماء بعيدة، تحادث النجوم، وتصادق الأجرام، وتربت على السحابات وتراقصهن، كان يرويها بقطرات ماء غير صافية، أعتقد أن هذه القطرات هي التي أطالتها، بالطبع لا، فقد مر على مكانها الكثير من الناس، ينظرون لها، يستظلون بها منعمين بخيرها، ثم يقومون بريها بقليل من الماء، ويرحلون، وهكذا استمر الحال لمدة ثلاثين عامًا، وقد شاركه الكثيرون ريها . . .

لكنه لم يعرف أبدًا سر أن يجلس تحت شجرة يستظل بها وهو يرويها!!

(٣)

عادة لا أهوى التنصت، لكنني أهوى المراقبة جدًا . . وأثناء دوران إنسان عيني يمينًا ويسارًا بخبث ودون أن ينتبه أحد له،

لمحت بطرف عيني اليسرى مجموعة من العواجيز، يبدو أنهم يعملون بعمل له علاقة بالورق والقلم، فأيديهم ناعمة وملونة بوعي.. بدءوا نقاشًا حاميًا حول سياسة الدولة وما آل إليه حال البلد، من سعر الدولار، ولحم الحمير إلى أحوال الفتيات الغريبة هذه الأيام.. ترحموا على أجساد النساء أيام زمان، ودلع راقصات "كلوت بك" وبارات عماد الدين.. كل منهم مقتنع بدوره الذي يقوم به من خلال آخرين، هذا الإحساس والتمرد على كل شيء مقبول لكل الموجودين ولأن صوتهم عال جدًا، فقد استمعت لهم رغم أنفي، وأنا غارقة تمامًا في سماع أغنية "أم كلثوم"، وفي جمال من تركتني الآن ورحلت.. لن ينطفئ جمال تلك البنت أبدًا ستظل متوهجة حتى أموت أنا!!

ستتزوج وتنجب طفلة تشبهها أو تشبهني بالتأكيد! ستتعامل معها مثلما تتعامل مع عروستي الآن!

لا أعرف ما السر في أنني أكتفي بها وهي معي عن العالم كله؟

(٤)

يتكلمون الآن عن الشذوذ الجنسي لرجل مشهور تم القبض عليه والإفراج عنه فورًا، أن هؤلاء الناس متشدقون جدًا ينادون بالحرية والتحرر من المعتقدات الجامدة.. مدرسيون تمامًا في

اعتقادهم عن الحرية . . .

لم نتباه يومًا بحريتنا المدهشة للآخرين . . .

(٥)

هاه . . .

هذا الرجل لا يكف عن النحيب والبكاء بجوار شجرته ولا عن الصراخ بتهليل غريب وهو يحكي لكل من يمر من أمامه عن المجهود الكبير الذي بذله كي تكبر الشجرة التي خدعته واستطالت حتى عدت طوله، كيف كيف كيف؟!

يخبط الناس كفًا على كف، لقد جن الرجل المحترم، ما هذه الشجرة التي تشغل باله بها؟

من الطبيعي أن تطول أفرع الشجرة القوي للسماء، فما الذي يحزنه إذًا . . . ؟!

(٢٢)

عش اليمامة

obeikandl.com

obeikandl.com

داخلي يرتعش... سحب السماء ترهب حاستي الموجوعة... لما تخاف يدي الاقتراب من النار؟

(١)

أشتاق للشرائط الستان الحمراء بضفائري، أذكر فتاي الصغير وأنا ألهو معه في "حوش البيت"، يجري خلفي و"يسبني لأني ألهو مع" صبيان غيره، وكذلك "أمال" وشكل القراميط في طبق أمها البلاستيك"... أم وحيد الصعيدية ترتدي فستانا قصيراً يبرز فتحة الصدر وزوجها رجل حاد الطباع لا يطيق محادثتها للجيران، احترف أخو "أمال" وحيد أن يحرق الأوراق في الشارع فمات محترقًا على أثر ارتدائه لأكياس بلاستيك لحمايته!

ظلت عمته العانس الجميلة تبكي عليه طول العمر، كان أبوها يحاول تهدئتها دائمًا ويزداد عديدها، فهم يجيدون غناء الحزن، كانت أكثرهن إجادة للعديد وصوتها كان جميلاً، عشقت سماعه وكأنها ترتل بروحانية تنفذ إلى بلا خوف مني لاستقبالها، فكنت عندما أجلس مع أمال تحت "بير السلم" للعب بالحلوى والعرائس القماشية وكانت عروستها جميلة فأمي لا تجيد صنع

العرائس أنسى اللعب وأنصت للعديد.

(٢)

رفضت الزواج من فتاي الصغير، تزوج فتاة قبيحة، مخلص لها وابنته تشبهه، أما أنا ذهبت للقاء وجوه أخرى، صنعوا بعقلي الصغير بعض التغيرات المحببة لي، أخذ ما أريده وأرحل، إلا تلك البنت التي أرسلت أبره "لضمت" خيطها في قلبي، وعقدت في نهايته عقدة لم تنفك.. خطفتني من شتاتي ولهفتي لحضن رجل ووضعتني في حضنها اكتفينا.. عدنا للاشتياق، نتمرد على أوضاعنا اليومية وشخوصها الحجرية.. تنطلق كل منا في دنيا، نعود لتبادل أحداث أيامنا الطارئة فأخبرتني، أنها بالأمس عانقت رجلاً لا تعرفه، وسمحت له باختراق حواجزها، لا هي حزينة ولا هي مكتئبة، لكنها متعجبة!

قمت بدوري وأخبرتها أنني بالأمس احتضنت رجلاً أشيب الشعر، غمرني بعشق مفقود، وقبلته كانت ساخنة، عمومًا إصرار السحب بادي تمامًا... ستمطر وقتما تريد، نبحث أنا والبنت عن كهف بعيد نعشش فيه كحمامتين بأجنحتنا البيضاء نظلل على آلامنا، نبحث عن وليفين يعيشوا داخلنا ويخصبون نقاءنا بصغار بريئة...

ربما نجدهم في هذا الكهف أولاً... لكننا سنظل نعشش فيه

وسنستقبل من يريد زيارتنا، نقدم لهم الحب اللازم ونستمر نقدم ونقدم!

للأضواء البعيدة أسباب رغم عدم حاجة الليل إليها، تكتفي تلك الأشياء بإغاظتنا بالظهور والاختفاء، لكننا أبدًا لا نخاف، بل ننبهر فاغرين أفواهنا!

طرق الذهاب والعودة تؤرقنا، نحب الطريق السائر، وطويلة جدًا طرقنا المختارة، لكنها لا تنتهي لن نسير باتجاه السيارات المارة، سنعود دائمًا للكهف..

نشعر كيف يكون لديك بابًا مفتوح على مصراعيه وتقف بالانتظار، تخرج فلا تجد إلا الفراغ وعند عودتك لا يؤنسك إلا أنت، تستدعي كل من كان يقف هنا في أحداث مضت، أو زائرًا أت طارقًا الباب كثيرًا لم تكن لتفتح له أبدًا وكأنك تشعر أنهم سيدمرون مكانك ويذهبون بلا اعتذار؟

الآن رغم ذلك نقف دائمًا أنا وأنت تنتظر طارقًا جديدًا... مستمتعين بالدخول والخروج من الباب لنلقي نظرة خاطفة ثم نعود، لم يعد هناك غرباء، إننا نعرف كل الوجوه الآن فهم يروننا عجائز بذاكرتنا المهزوزة!

للأرواح المارة علينا صداقة خاصة، فهي تكشف لنا أسرارًا بالصدفة؟!

فلم يعد هناك من يقدر قيمة أن تكون لديك عين سوداء بأهداب تحكم قواعد السحر، أو أن لك شفايف بابتسامتها تمطر السماء نجومها لتبعثرها على شعور الفتيات الصغيرات؟

في الخارج الآن ضباب ودخان ومع ذلك لا نشعر بتأثيرهم فبابنا كبير جداً ويسع أيدينا وشموعنا الصغيرة تغنينا تماماً عن فتح الشبابيك.

obeikandl.com

(٢٣)

صلاة واحدة

obeikandl.com

obeikandl.com

صلاة واحدة

كيف دبر لنا لقاء ليس به متعة كاملة . . . احتضنك حتى تتفتت أوردتي الجافة بين يديك . . . تمتص رحيقي كفراشة تحط على زهرة وحيدة في حديقة الجنة . . . أتعرف حبيبي لماذا دبر لقاءنا؟ انتظر ليس الآن الإجابة . . .

ضعني أولاً بين أهدابك الصفراء! لا تدع يد رجل آخر غيرك تعبث بحبيبتك!

نعم سيقررون حتما أن يمنحوني هدية ويقدمونني قربانا لآلة الخصوبة . . يدفعونني كالدمية من أعلى مكان أمام النيل، بما إنني أرفض أن يتخللني رجل آخر، استاءوا من طول انتظارهم للحظة الذوبان التي تشتاق إليها الفتيات رأوني أعلق على صدري صورة مريم محتضنة المسيح وفي أصبعي خاتم منقوش عليه آية قرآنية، وتعجبوا من فرحتي البلهاء بالمطر ووقوفي تحته ابتهل الله أن تجمعني بك صلاة واحدة في خلاء لا يعرف الطوب أو الأسمنت، لا يعرف إلا الهواء المعطر برائحة العشق . . .

لم أكن أدري سيدي أنني كنت أذهب دائمًا للدعاء وقت المطر للقائك، كلما وقفت أمام كنيسة أو جامع أو معبد يهودي.

أقف سارحة في لا شيء، تتوه خطواتي أمامهم من حيرتي،

لماذا أقف ولم أدعو، فكانت دعوتي الوحيدة هي: "يا رب أعطني ما تحبه لي" . . .

كم من رجال قابلت، وأماكن لا تعد إليها دخلت، كم مرة صليت، وأنا أصلي أسأل الله أن ينعم عليَّ بك، نعم أنت.

ما المشكلة في أنك لست للأبد. . . !

من منا نال شيئًا للأبد. . فترتيبات السماء لا تخطئ أبدا. . رسائلها لكلينا لم تكن كاذبة في حرف. . ألحت عليك بالحضور لنفس المكان الذي آتيه دائمًا، تأتي إليّ باحثًا عني وأنت لا تدري أنني أنتظر هلتك الملائكية على المكان. . كانت هناك يد تدفعني للحضور أيضًا، لا أعرف مصدرها لكنها نجحت في مهمتها الموكلة إليها من عند الله. له بالتأكيد حكمة نجهلها، ربما في مكنونها أنه الوحيد القادر على تجميع القلوب المشتتة وأنه الوحيد القادر على أن يتأكد العالم أن الحب بلا دين، بلا وطن، كما سمعنا ونحن صغار. . .

أعاود سؤالك هل تعرف أنت سبب لهذا اللقاء غير المكتمل؟!

غير أننا مررنا بالكثير من الطرق والأحداث كأننا نمر بدهاليز وسراديب وطرق جبلية وصحراوية برعب وخوف يرعش قلوبنا المتعبة من طول السفر نبحث عن كنز لا نعرف محتواه، لم تصل، ولم أصل لأي شيء. . .

آتيت من جهة وأنا من أخرى.. وقفنا نلهث من طول التعب، رفعنا رأسينا من النظر على مكان أقدامنا.. اشتبكت عينانا بلمعة طفولية وضحكة عالية، دوّت بصدى قوي في السماء، تسمرنا مكاننا.

تحول اللهاث لحالة من الوهن والوجد، ارتمينا مكاننا على الأرض البور التي وصلنا إليها سويًا، وبعينك التي تداعبها أضواء الشمس بمتعة، مددت يدك بشوق العمر، تخبرني بهمس أين كنت؟

لا أتعجب من سؤالك، كان لدي إحساس يقيني، أنني أطوف في سماء الآخرين وأراضي ليست لي لأننا سنتقابل هنا في هذا المكان الخالي من شعارات دنيوية، سيرفض الجميع أن تحتضنني بجرأة وتسير حاملاً براءتى على كتفيك، كيف نفعل ذلك بهم؟!

نتّحد أنا وأنت، نتقوس في أحشاء بعضنا كالقوس والسهم، ستذهب أنت بقوسي إلى مكانك الجديد وحيدًا بعدما لقيتني، وأبقي أنا هنا بسهامي، أصيب كل من يفكر أن ينزع صورة العذراء المحفورة بصدري...

فها هي حكاية من حكايات الله تبدأ، لا نعرف متى تنتهي أو كيف ستنتهي، لكن من المؤكد أننا التقينا في موعد مناسب تمامًا لكل منا، سنذوب لوقت طويل في المتعة، لن نفيق أبدًا حتى وإن

أخذتك دنيتك ودينك، وأخذتني دنيتي وديني، ومن المؤكد لن تنفلت يدك التي تحمل بركة الرب من يدي...

فلتفعل الدنيا معنا ما تشاء، أما الله فهو الوحيد الذي يعلم ما يفعله بمخلوقين ضعيفين لا يحتاجون إلا صلاة واحدة حتى لا تنفلت أيديهم أبدًا؟

هل عرفت الإجابة عن سؤالنا المحير؟

سنذهب لنقيم صلاتنا الخاصة؟! وفي طريقنا سنترك خلفنا أصواتًا مختلطة من التعليقات والهمسات والصراخ وصوت بائعي اللحوم تحديدًا وصراع الجزارين على ذبائحهم، ستبتعد هذه الأصوات خلفنا حتى تصبح وشيييشًا.. وشيشًا.. وشيشش...

ستستقبلنا قبلتنا الذاهبين إليها بمحبة الله دون بشر...

obeikandl.com

(٢٤)

العقارب يدخلون الجنة

obeikandl.com

obeikandl.com

العقارب يدخلون الجنة

المكان. . أي مكتب

الزمان. . منذ فكر الكهنة بمكان لعبادتهم في المعابد الفرعونية القديمة ليتعبدوا فيه بخشوع ويقيمون صلواتهم ويسألون طلباتهم من ربهم الأعظم "أمون رع" وحتى الآن ٢٠٠٤، وبعد تطور أماكن العبادة لتصبح مكاتب حكومية تابعة لرئيس مصلحة يعامل كـ"أمون" تمامًا ويسكن المكاتب نفس الكهنة القدامى برؤوسهم الحليقة وكروشهم المنتفخة وأفواههم المفتوحة على مصراعيها، كذلك يديهم الممدودة دائمًا للذهب مقابل الفتوى!

كان الفراعنة يقدسون "العقرب" ويعتقدون أنه مرتبط بدورات الزمن المختلفة، وأن مكانه المناسب بجوار المتوفى داخل جبانته حتى إذا ما تعرضت الجبانة لخطر اللصوص حماها، وكان "العقرب" لا يتفاهم أبدًا في مسألة الحماية، فهو لا يلدغ إلا كل كائن حي، لا يشعر بالفخر إلا عندما يقع أمامه البني آدم متألمًا من عصرة الألم التي أصابته أثر قرصته المميتة!

العقرب صديقي وزميلتي والساعي، كل من حولي هنا يتمتعون بصفات العقرب، ولا يفهمني أحد خطأ إزاء هذا، فأنا أحب كل العقارب بلا استثناء، العقرب جميل جدًا. . . . لا

يؤذيك أبدًا مادمت منتبهًا له، لا يقترب منك إلا إذا أهملته، ولم تعد تغذية بصغار الثعابين السامة الذي يعشقها، العقرب المسكين، يتهمونه في كل المصائب وهو الهادئ الودود المستكين في رمله الناعم الأصفر بلا استفزاز لأي مخلوق آخر إلا أنت. . . رحيم جدًا فهو يشفق عليك من رؤيتك له وجهًا لوجه، يضع لك عصابة على عينيك كي لا ترى أرجله الكثيرة التي تتحرك برشاقة وخفة وحب على الرملة الملساء، أرجله الثمانية تداعبك ليس أكثر، لكن أن تقوم بالحركة الهوجائية المعروفة معه، فلا، أنت صديق العقرب فلا تخف، لن يؤذيك وأنت غير منتبه له، بل سيؤذيك إذا قررت فجأة أن تخبره عن حقيقته المختبئة خلف عينيه البريئة وجله المثير للقشعريرة الجميلة؟!

سيؤذيك إن قررت أن تأخذ من السماء شعاع نور، أو ظللت واقفًا تحت المطر تدعو بقلب صافي في العراء سيتملك منك "العقرب" أيضًا إذا دخلت على إحدى الصديقات لتخبرها أن هناك أشخاصًا جلسوا مكانك ولا تعرف من هم، وتطلب منها التدخل في الأمر، فتخبرك بهدوء شديد أن هؤلاء هم عصابة طيبة، لا تريد شيئًا إلا الود والحب والاحترام الشديد وشيء صغير آخر كتبك فوق "البيعة" . . . كنت أشعر بضيق في الصدر كلما رأيت "العقرب" يسير بأرجله ولا يشعر بأنه مشوه. . . ومع الوقت عندما كبرت وحضرت إلى هنا في المكتب الكبير الذي

يضم الكثير منه، عرفت أن النظريات تختلف عند الكائنات، فما اعتقده تشوه أنا في معشر "العقارب" جمالاً نادراً، بل الأدهى، أنه كلما زادت أرجلها زاد جمالها، وهي ترى البني آدميين الحقيقيين مشوهين مرعبين ولا بد من التخلص منهم قبل أن ينقضوا عليها ويقتلوها القتلة، البني آدميين قتلة، يستحقون القصاص العادل، فقد كانت رحمة الله واسعة أن أعطى لهم هذا "السم" البسيط لنقف صامدة أمام البني آدميين الظالمين الذين يتهمونهم بالغدر والدهاء ويقتلونها ويأخذون سمها ليتقاتلوا به؟!

"لا بد أن نجتمع عليهم يا معشر العقارب، إليكم النبأ التالي... نحن مجلس العقارب بأنحاء الدنيا قررنا الانتقام من البشر الجالسين في المكاتب والسائرين في الطريق والعابرين من هنا وهناك، سننتقم من كل شخص يفكر أن يسب آخر باسمنا وسنقاضيهم عند الله، سنسأله إن كان عدلاً أن يتهموننا ظلمًا وبهتانًا ويقتلوننا ونحن لا نحب لهم إلا الخير، لقد تركنا لهم مبانيهم وعشنا في الصحراء ولم نأكل أكلهم ولم نشرب شربهم، ضحينا برغباتنا لأن الله أراد ذلك، يعرف أنانيتهم وغرورهم وسعيهم في الأرض للوصول إلى الطعام، ضغط علينا لمعرفته بقدرة احتمالنا على تحمل الصحراء الوحشة والبرودة والحر

الموجود فيها . . . سنسأله إذا كان خصنا بذلك وإننا سندخل الجنة، فلماذا هؤلاء البشر الملاعين الذين نزلوا بإرادتهم من جنته، يحاولون اتهامنا بما ليس فينا طمعًا منهم في دخولها . . . ومنعنا من دخولها، فلا يوجد أجدر منا على دخول الجنة " !

obeikandl.com

المحتويات

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتويات

الفصل الأول ٣

طقوس

الفصل الثاني ١٣

عودة بائع الملح من الرمال المتحركة

الفصل الثالث ٢٥

سرب النمل

الفصل الرابع ٣١

زيارة بلا موعد

الفصل الخامس ٣٩

الغريـــــــق

الفصل السادس ٤٥

ساقي الخمر لا يشربها

الفصل السابع ٥٣

خيـــالات

الفصل الثامن ٥٩

وهـــــج

الفصل التاسع ٧١

شرود اللؤلؤ

obeikandl.com

الفصل العاشر ٧٧
بعيداً عن الحرب هناك قتلة
الفصل الحادي عشر ٨٣
الفراغ يأكله الورق
الفصل الثاني عشر ٨٩
الثلاثاء الموافق ٢/ ٩/ ٢٠٠٣
الفصل الثالث عشر ٩٥
لفنجان القهوة يد واحدة
الفصل الرابع عشر ١٠١
حقيقي . . . أمور بسيطة جداً!
الفصل الخامس عشر ١٠٧
كان عندي طير
الفصل السادس عشر ١١٣
روح من لحم ودم
الفصل السابع عشر ١٢٣
عيون أتعبها الضوء
الفصل الثامن عشر ١٣١
مع سبق إصرار
الفصل التاسع عشر ١٤١
ضفيرة بنية عريضة

obeikandi.com

الفصل العشرون ١٤٧
ماذا بعد يا فاطمة؟
الفصل الحادي والعشرون ١٥٥
هنا سبب واحد للحياة
الفصل الثاني والعشرون ١٦١
عش اليمامة
الفصل الثالث والعشرون ١٦٧
صلاة واحدة
الفصل الرابع والعشرون ١٧٣
العقارب يدخلون الجنة
المحتويات ١٧٩

obeikandl.com